

المعاني النصية في القرآن الكريم

سورة المجادلة نموذجًا

(دراسة نقدية لمناهج المفسرين في ضوء علم اللغة النصي)

إعداد

د. محروس محمد إبراهيم علي

مدرس العلوم اللغوية بكلية الآداب

جامعة بني سويف

المعاني النصية في القرآن الكريم : سورة المجادلة نموذجًا

(دراسة نقدية لمناهج المفسرين في ضوء علم اللغة النصي)

د. محروس محمد إبراهيم علي*

تأتي أهمية هذه الدراسة من كونها محاولة للكشف عن معاني ودلالات ومقاصد مهمة ، لم يُولها المفسرون أو مناهج التفسير حقها من البيان والأهمية في تفسيرهم للقرآن الكريم ؛ لأن معظم كتب التفسير اهتمت بتفسير القرآن الكريم تفسيرًا جزئيًا آية آية ، للخلوص إلى ما فيها من أحكام فقهية وآداب شرعية وأوامر ونواهٍ، أو للاستدلال بها على مذهب أو رأي في قضية؛ فغاب عن تفاسيرهم تلك المعاني النصية الكلية التي لا تدرك إلا بالدراسة النصية لسور القرآن الكريم، وذلك باعتبارين : الأول أن كل آية تمثل جزءًا لا يتجزأ من وحدة موضوعية تضم مجموعة آياتٍ غالبًا نجدها موزعة على أكثر من سورة في القرآن الكريم؛ والاعتبار الثاني أن كل سورة تمثل نصًا واحدًا متكاملًا له بنيته اللفظية الكبرى ووحدته الدالية العامة ومقاصده الكلية الشاملة، التي لا تُدرك بمجرد التفسير الجزئي للآيات، وإنما بتحليل الظواهر الأسلوبية للفظ والدلالة ، وإدراك الوحدات الكبرى لنص السورة والخيط الذي يجمعها والسياق الذي يلفها، وهذا ما افتقده الباحث في معظم كتب التفسير قديمًا وحديثًا ، ويحاول إبرازه وبيانه مُفصلاً في هذه الدراسة .

وتقدم الدراسة في بيانها أهمية تلك المعاني النصية لتفسير القرآن الكريم نماذج من كتب التفسير في تفسيرها سورة المجادلة ؛ لتبين أن ثمة معاني ومقاصد وإشارات ومواعظ لم يلتفت إليها كثير من المفسرين ؛ رغم أهميتها الكبرى بوصفها مغزىً ومقصدًا يكمن وراء آيات السورة كلها، بل تتعدد الآيات والمواقف التي تسردها السورة متناصّةً أو متقابلةً أو متناظرة بغرض تركية هذا المغزى أو تقوية ذلك المقصد، على نحو ما سيوضح بعد.

ومن أهمية هذه الدراسة كذلك أنها محاولة للخروج باللسانيات النصية الحديثة من الافتراضات النظرية إلى الممارسة العملية التطبيقية، حيث تطرح - بدراستها سورة المجادلة دراسة نصية - أنموذجًا تطبيقيًا لتحليل النصوص القرآنية وتفسيرها تفسيرًا نصيًا موضوعيًا

* مدرس العلوم اللغوية بكلية الآداب جامعة بني سويف.

يهتم في المقام الأول بتحليل أدوات السبك النحوي وروابط الحبك الدلالي وأساليب تماسك النص القرآني - التي تجعل من السورة بنية كلية واحدة تتعكس خصائصها في بناها الجزئية الصغرى، بحيث يُمثل مقصد السورة ومغزاها وراء ما فيها من آيات وما تذكره من مواقف وتسرده من أحداث وقصص، مهما طالت السورة وتعددت آياتها وكثرت استطراداتها.

ولستُ مبالغاً إذا قلت بأن هذه الدراسة ومثلها تأخذ قدرها من الأهمية بقدر ما تساعد على حل إشكالية تبدو - للوهلة الأولى - في كثير من سور القرآن الكريم؛ إذ نجد السورة من القرآن الكريم رغم قصرها تتحدث في غير موضوع وفي أكثر من قضية وبخصوص أكثر من فئة أو جماعة؛ الأمر الذي يبدو للناظر ظاهره عكس ما عليه جوهره، فيبدو ثمة استطراد وتعدد موضوعي، رغم أن هذا يمثل سر الإعجاز البياني للنظم القرآني، الذي يجعل من تعدد الموضوعات وحدة عضوية ومن اختلافها بياناً للمعنى وتجليه له وتأكيداً عليه .. وهذا ما لا يتضح للقارئ إلا من خلال دراسة النظم القرآني دراسة نصية، وهو ما تتعهد الدراسة عمله وتعتزم تطبيقه على إحدى سور القرآن الكريم.

وإلى جانب هذه الأهمية فإن ثمة أسباباً أراني مدفوعاً بها لدراسة هذا الموضوع، منها اجترأ الباحث على الإفادة من مناهج اللسانيات النصية كالينبوية الوصفية والتوليدية التحويلية والأسلوبية والنظرية النصية - في تفسير القرآن الكريم وتحليل نصوصه وفهم معانيه واستيعاب إشاراته واستنباط أحكامه واستدراك مقاصده، بالإضافة إلى الكشف عن خصائص نظمه وأدوات سبكه وأساليب حبكه.

ومن هذه الأسباب كذلك التأكيد عملياً وتطبيقياً على أن اللسانيات النصية المتطورة في تحليلها للنص لا تغفل أياً من دور المتكلم أو المتلقي أو السياق المقامي أو الاجتماعي؛ على نحو ما أغفلته بداياتها المتمثلة في البنوية الوصفية واستدركته في نظريتها المسماة بنظرية النص؛ لأن مقاصد النص لا تتحدد إلا في ضوء معرفة المتلقي بمقاصد المتكلم وسياق الكلام .

ومن أجل تحقيق هذه الأهداف والتحقق من تلك الأهمية تنتهج الدراسة المنهج الوصفي التحليلي في بيان المقصود بالمعاني النصية، وطبيعة المنهج النصي، وإجراءات

تحليله ، ومقارنته بمناهج تفسير القرآن الكريم، ثم تطبق ذلك كله على تفسير القرآن الكريم:
سورة المجادلة نموذجًا، وتقتصر بيان ذلك في المباحث الآتية:

١- المعاني النصية : مفهومها وأهميتها

٢- الدراسة النصية: مفهومها وأهدافها، طبيعتها و مناهجها، إجراءاتها المنهجية

٣- منهج علم اللغة النصي وعلاقته بتفسير القرآن

[التفسير النصي للقرآن الكريم]

٤- المنهج النصي ومناهج التفسير

أ- تفسير الرسول والصحابة ونشأة مناهج التفسير

ب- المنهج النصي ومنهج التفسير بالمأثور

ج- المنهج النصي ومنهج التفسير بالرأي

د- المنهج النصي ومنهج التفسير الموضوعي

٥- تفسير سورة المجادلة بين مناهج التفسير ومنهج علم اللغة النصي

أ- تفسير سورة المجادلة ومناهج التفسير

ب- تفسير سورة المجادلة ومنهج التفسير النصي

ويمكن للدراسة توضيح ذلك على النحو الآتي : .

١- المعاني النصية : مفهومها وأهميتها

لا يتسنى لنا معرفة المقصود بمصطلح المعاني النصية حتى يُحدّد المقصود بمصطلح النص الذي اختلفت حوله التعريفات والمفاهيم، وللخروج من كثرة هذه التعريفات وتلك المفاهيم ، يمكننا تعريف النص تعريفًا يشمل كل عوامل إنتاجه، وعناصر بنيته، وأدوات تماسكه، فنقول بأنه " نظم مجموعة من العلامات اللغوية في بنية دلالية مسوقة في عملية اتصال "ونكون بهذا التعريف قد أخطنا بالسمات التركيبية للنص اللغوي والعوامل التي شاركت في إنتاجه والوظائف اللغوية التي ينشدها، لأن عبارة " نظم مجموعة من العلامات اللغوية" تعني اتسام النص بالسبك النحوي والتماسك التركيبي لمجموعة العلامات اللغوية اللفظية والإشارية التي تُنظّم في بنية النصّ الكلية نظمًا خاصًا عبر أدوات من الربط النحوي ووسائل من التماسك النصي. أما عبارة " في بنية دلالية" فإنها تعني أن قيمة النص فيما

يتضمنه من دلالة، وأن هدف السبك النحوي والنظم التركيبي والبناء الجملي هو الحبك الدلالي وترابط الأفكار وبناء المعنى. كما أن عبارة " مسوقة في عملية اتصال " تؤكد على طبيعة النص اللغوي ووظيفته اللغوية الأساسية، فكل نص لغوي لا يوجد إلا في مشهد لغوي حوارى وسياق اتصالي له مُرسِل ومستقبِل ورسالة وقناة اتصال، فليس ثمة نص لم يكن له ناصّ ومخاطب وسياق ومقام ورسالة أو هدف، فضلاً عن أن أي نص لغوي لا بد أن يهدف إلى اتصال أيا كان نوع هذه الاتصال أو هدفه.

كل هذه الخصائص التركيبية والأبعاد الجوهرية التي جمعناها في تعريفنا السابق للنص اللغوي، قد جاءت متناثرة في تعريفات الباحثين في علم اللغة النصي؛ حيث ركز كل واحد منهم على خصيصة من خصائص النص أو جانب من جوانبه، إذ ركز كل من براون ويول على إبراز طبيعة النص الخطابية والحوارية والاتصالية وعرفاه بأنه: "التسجيل الكلامي لحدث تواصلى"^(١) كما ركز كل من هالدي والديكتور رقية حسن على البناء اللفظي والدلالي للنص، لأن أهم ما يميز النص عما هو ليس بنص هو الترابط النصي ليس على مستوى الشكل بل على مستوى الدلالة، حيث قالوا: " أفضل ما ينظر إلى النص على أنه وحدة دلالية: وحدة ليست في الشكل بل في المعنى"^(٢) كما أكد معظم المشتغلين بالدرس النصي على أهمية (الترابط النصي) و(ظواهر الفصل والوصل)^(٣) التي تعلقّ الكلم والجمل بعضها ببعض على نحو خاص وأسلوب مميز وبناء متماسك ومتكامل على مستوى اللفظ والدلالة ومن هؤلاء الباحثين: فان دايك، ودي بوجراند، ودراسلز، وهارفج، هذا الذي عرف النص بأنه: " وحدات لغوية متتابعة مبنية بسلاسل إضمار متصلة"^(٤) ويصبح النص عبارة عن مجموعة من الوحدات اللفظية الصغرى والبنى الدلالية الجزئية التي تتدمج عبر الأدوات

^١ - براون ويول، تحليل الخطاب، ترجمة الدكتور محمد لطفي الزليطني والدكتور منير التريكي، مطابع جامعة الملك سعود، السعودية، ١٩٩٧، ٢٢٧.

^٢ - Halliday, M.A.K., and Ruqaya Hasan, (1976). Cohesion in English, London, Longman, P. 1

^٣ - انظر براون ويول، تحليل الخطاب، ٢٢٩.

^٤ - انظر: فولفجانج هاينه، وديتر فيهيجر، مدخل إلى علم اللغة النصي، ترجمة الدكتور فالح بن شبيب العجمي، مطابع جامعة الملك سعود، السعودية، ١٩٩٩م، ٢٧.

النحوية والظواهر والروابط الدلالية في بنية كلية جامعة ودالة ، تحمل قصدية المتكلم وأغراضه الإنجازية وأفعاله القولية التأثيرية.

ومما سبق يتضح أن النص اللغوي ليس مجرد مجموعة ألفاظ أو جمل مترابطة، بل هو نظم تركيبى وبناء دلالي وحوار له أطرافه وخطاب له تداولياته وحدث اتصالي له عناصره المشاركة في إيجاده أو إنتاجه من مرسل ومستقبل ورسالة وقناة اتصال ، الأمر الذي جعل عدداً غير قليل من الباحثين ينقلون عن روبرت دي بوجراند شروطاً ومعايير سبعة للنصية أو لكون النص نصاً، وهي :

- ١- السبك Cohesion أو الربط النحوي.
- ٢- الحبكة Coherence أو التماسك الدلالي.
- ٣- القصد Intentionality أي هدف النص .
- ٤- القبول أو المقبولية Acceptability وتعلق بموقف المتلقي من قبول النص.
- ٥- الإخبارية أو الإعلام Informativity أي توقع المعلومات الواردة فيه أو عدمه.
- ٦- المقامية Situationality وتعلق بمناسبة النص للموقف .
- ٧- التناص Intertextuality^(١).

هذا، ولا يفوتنا هنا التنويه بأن النص بهذا المفهوم الشامل الذي تتبناه الدراسة قد وسع كل المعاني المعجمية واللغوية العامة التي تحملها مادة (نص) في الاستعمال اللغوي، فإذا كانت اللغة قد استخدمت كلمة (نص) بمعنى التعيين، والاستخراج، والضم، والرفع والإظهار، والاستقصاء ، وذلك من قول صاحب اللسان: والنص التعيين على شيء ما ... وفي حديث هرقل، ينصهم أي يستخرج رأيهم ويظهره... ومنه قيل: نصت الرجل إذا استقصيت مسألته عن الشيء حتى تستخرج كل ما عنده ... والنص رفعك الشيء ، ونص

^١ - انظر: روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ترجمة دكتور تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٨، ١٠٣-١٠٤ . وانظر : دكتور صبحي إبراهيم الفقي ، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دار قباء للطباعة، القاهرة ، ٢٠٠٠ ، ٣٣-٣٤ . وانظر : دكتور صلاح فضل ، بلاغة الخطاب وعلم النص ، سلسلة عالم المعرفة ، عدد ١٦٤ ، أغسطس ١٩٩٢ ، الكويت ، ٢٥٢ .

كل شيء منتهاه (1) فإن المعنى الاصطلاحي الشامل للنص يشمل كل هذه المعاني، فالناص أو المتكلم أو المرسل يعين المعنى أو الفكرة أو الشعور أو الغرض ثم يستخرجه عن طريق ضم الإشارات اللغوية بعضها إلى بعض ، محاولاً استقصاء الغاية في إظهار المعنى وإبرازه للمتلقي والتأثير فيه .

ومن خلال هذا المفهوم الشامل لمعنى النص نستطيع أن نحدد تبعاً المقصود بمصطلح (المعاني النصية) ، حيث نعني بها : المقاصد الكلية والمعاني السياقية والأسلوبية التي تُستفاد من بنية النص الكلية . علمًا بأن البنية الكلية للنص تُدرك من خلال إدراك الروابط اللفظية والدلالية للنص ، مثل المناسبة والتكرار والتجاور والتناظر والتقابل والتناص أو التداخل النصي فضلاً عن الإحالة والإضمار ، وغير ذلك من روابط اللفظ وظواهر الدلالة التي تترايط بها البنى اللفظية والوحدات الدلالية الصغرى في بنية واحدة كلية.

هذا ، مع التنبيه على أن تلك المعاني النصية الكلية لا تدرك إلا من خلال إدراك الدلالات الصوتية والصرفية والمعجمية والتركيبية والسياقية والبيانية التي تتضمنها الألفاظ والجمل والتراكيب داخل النص؛ لأن إدراك المعاني الكلية لا يكون إلا بإدراك المعاني الجزئية.

وقد أخذ البحث عن (المعاني النصية) في تحليل النصوص عدة مراحل: حيث بدأت عملية تحليل النصوص ونقدها من خلال تحليل المفردة ثم الجملة تحليلاً دلاليًا وبلاغياً على نحو ما نجده عند العرب القدامى في شروحاتهم الشعرية وتفسيرهم القرآنية ، وموازناتهم وتعليقاتهم النقدية، وتنظيراتهم وتطبيقاتهم البلاغية؛ وذلك على اعتبار أن البيت الشعري عندهم وحدة القصيدة ، وأن الجملة وحدة المعنى ، وأن الاستعارة أو الكناية أو التشبيه أو المجاز المفرد أو الإسنادي وحدة البلاغة أو الصورة البلاغية ، وأن الآية القرآنية وحدة التفسير واستنباط الأحكام ومناط الاستدلال. واستمر تحليل النص معتمداً على تحليل الجملة، على نحو ما نجده في العصر الحديث عند أصحاب المدرسة البنوية الوصفية، وإن أخذت عملية التحليل منحىً تركيبياً سنتجماتياً Syntegmatic على اعتبار أن الجملة

¹ - ابن منظور، لسان العرب ، طبعة دار المعارف ، القاهرة، دت ، ن ص ص

عندهم هي الوحدة الدلالية الكبرى. ولا يزال تحليل الجملة مساوياً لتحليل النص، وإن أخذت عملية التحليل منحىً برجماتياً Pragmatic كما هي الحال عند أصحاب المدرسة التوليدية التحويلية الذين يحللون الجملة في ضوء بدائل الاختيار وإمكانات الكفاءة اللغوية، أو في إطار القوالب التحويلية المرتبطة ببنية النص السطحية والتحتية. وكذلك الحال عند أصحاب المدرسة الأسلوبية الذين يحللون المفردة أو التركيب أو الأسلوب على ضوء الأصل والانحراف الأسلوبي، سواء على مستوى النص أو مستوى الكفاءة اللغوية وإمكانات التعبير. كل هذه المراحل السابقة والجملة هي وحدة التحليل النصي، ودلالة الإسناد هي الوحدة الدلالية المعتمدة لفهم النص وتحليله... ولا تزال عملية تحليل النص منصبة على تحليل الجملة حتى جاءت نظرية النص والمنهج التداولي فاستبدل النص بالجملة والمعنى الكلي بالمعنى الجزئي والمقاصد الكلية للنص بمعانيه الجزئية، كما استبدل الخطاب بالكلام، والمخاطب بالمتكلم... وهذا ما سنوضح المقصود به بالتفصيل في هذه الدراسة عندما نطبق (المعاني النصية) على تفسير سورة المجادلة .

مع العلم بأن الدراسة لا تتعمق في تفسير السورة آية آية واستخراج أحكامها على نحو ما فعل المفسرون قديماً وحديثاً، وإنما ستقتصر على استخراج (المعاني النصية الكلية) التي لا يستدل عليها إلا من مظاهر الترابط النص والدلالي داخل البنية الكلية للنص.... ومعنى ذلك أننا لا نعول على ذكر المعاني الجزئية والأحكام الفردية للآيات القرآنية داخل السورة، لأن هذا ما استوفته تقريباً كتب التفسير القديمة والحديثة، وإنما سنركز على استنباط المقاصد الكلية للنص والمعاني العامة التي تستفاد من البنية الكلية للنص، ومن دلالة علاقات التجاور والمناسبة والمقارنة والمقابلة والتكرار والذكر والحذف والإحالة والإضمار وغير ذلك من مظاهر الترابط الدلالي داخل البنية الكلية للنص.

٢- الدراسة النصية : مفهومها وأهدافها، طبيعتها ومناهجها، إجراءاتها المنهجية

(مفهوم الدراسة النصية)

لقد تداول الباحثون عربياً وأجانب مصطلح الدراسة النصية أو علم اللغة النصي أو علم لغة النص Text Linguistics ؛ وذلك على أن مجمل ما يعنونه بهذا المصطلح على حد تعبيرنا دراسة النص بوصفه كلاً متكاملًا أو بنية كلية ذات طبيعتين : طبيعة لغوية

تتنظمها أدوات من السبك النحوي والحبك الدلالي ، وطبيعة تداولية يشارك في تكوينها كل من : المتكلم والمخاطب والسياق وهذا ما ألمح إليه Jack Richards في تعريفه لهذه المصطلح : بأنه تلك الدراسة التي تؤكد الطريقة التي تنتظم بها أجزاء النص، وترتبط فيما بينها لتخبر عن الكل المفيد^(١) كما أورد الدكتور صبحي إبراهيم تعريفات David Crystal وNils وغيرهما للدراسة النصية ، حيث ركزت جميعها على أهمية السياق وأدوات التماسك النصي عند تحليل النص وفهمه، بل أصبح علم اللغة النصي يعني على حد تعريف Crystal دراسة الأدوات اللغوية للتماسك النصي الشكلي والدلالي ، في ضوء المعرفة الجيدة بالخلفية أو السياق الذي أنتج فيه النص.^(٢)

وهذا ما جعل الدكتور صبحي إبراهيم يصف علم اللغة النصي بأنه فرع من فروع علم اللغة ، يهتم بدراسة النص بوصفه الوحدة اللغوية الكبرى، وذلك بدراسة جوانبه العديدة ، منها : الترابط أو التماسك النصي Textual Cohesion والإحالة أو المرجعية Reference والسياق النصي Textual Context ودور المشاركين في النص (المرسل والمستقبل) . علمًا بأن هذه الدراسة تنطبق على النص المكتوب أو المنطوق على حد سواء ؛ إذ لا فرق عنده بين تحليل النص وتحليل الخطاب ، أو بين مصطلح نص ومصطلح خطاب.^(٣)

ومن خلال تعريف علم اللغة النصي وتوصيف المقصود بالدراسة النصية يمكن أن نحدد أهداف الدراسة النصية وطبيعتها ومناهجها وإجراءات التحليل النصي ، على النحو الآتي:

(أهداف الدراسة النصية)

تهدف الدراسة النصية في الأساس إلى إدراك الدلالة الكلية للنص [قصد المتكلم . والمعنى الرئيسي الخفي الكامن وراء المعاني الجزئية وأدوات التماسك النصي الشكلي والدلالي] . وبعبارة أخرى فإن الدراسة النصية تهدف إلى أن تتجاوز . في فهمنا للنص

¹- Jack,Richards,et al ,(1987), Longman Dictionary of Applied Linguistics ,Longman ,London, p 292 .

^٢ - انظر : د.صبحي إبراهيم ، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ، ٣٥ .
^٣ - انظر : د. صبحي إبراهيم ، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ، ٣٥-٣٦ .

وتحليلنا إياه . إدراك وحداته الدلالية وموضوعاته وقضاياها وأفكاره الرئيسية ؛ إلى إدراك الخيط الذي يجمعها والسياق الذي يلفها والقصد الدلالي الذي يتغياها المتكلم منها.

كما تهدف الدراسة النصّية إلى فهم النص وتحليله في إطار المفهوم الشامل لمصطلح نص، أي في إطار كون النص مجموعة من العلامات اللغوية المنظومة في بنية دلالية مسوقة في عملية اتصال ؛ وبذلك تصبح عملية (تحليل النص وفهمه وتفسيره ونقده) تعني تحليل البنية اللغوية للنص في ضوء عوامل إنتاجه وعناصر بنيته وأدوات تماسكه. ومعنى هذا أن الدراسة النصّية تؤكد على مراعاة: قصد المتكلم، وسياق النص [اللغوي والأسلوبي والمقامي والثقافي] ودور المتلقي ، ودور الروابط النصّية العامة والجزئية - عند التحليل اللغوي البنيوي للنص .

ومن أهداف الدراسة النصّية كذلك بيان أهمية الدلالة الكلية للنص ، وأن هذه الدلالة وقصد المتكلم من النص أكثر بكثير من مجرد جمع دلالات الكلمات ومعاني الجمل والفقرات؛ لأنها تساوي مجموع هذا كله وزيادة تُستفاد من فهم روابط النص وأساليبه وأدوات تماسكه وظواهره الدلالية كالأحوال والتجاور والتناظر والتقابل والتناص والإسناد والتكرار والذكر والحذف والإضمار، وغير ذلك من أساليب النص وظواهره الدلالية التي يستكين خلفها قصد المتكلم والدلالة الكلية للنص .

(طبيعة الدراسة النصّية)

تتجلى طبيعة الدراسة النصّية من خلال ما استقر عليه الفكر اللغوي الحديث حول مفهوم النص، فإذا كان النص ذا طبيعة لغوية وأخرى تداولية فإن دراسة النص راعت فيه هاتين الطبيعتين ، حيث يُدرس النص دراسة لغوية شكلية وصفية Description مع إبراز دور المشاركين في إنتاج النص [المتكلم وقدرته على اختيار الكلمات والأساليب والأدوات اللغوية . والسياق ودوره في تحديد دلالات النص ومعانيه . والمتلقي ودوره في سد فراغات النص وفهم حذفاته] وتلك هي الدراسة التداولية للنص ، فضلاً عن أن الدراسة الشكلية للنص تجاوزت إدراك العلاقات اللغوية الجزئية بين الكلمات والجمل إلى إدراك العلاقات اللغوية العامة التي تربط بين الفقرات والوحدات ومقاطع الكلام .

(مناهج الدراسة النصّية)

لا شك أن مصطلح الدراسة النصية مصطلح عام يُطلق على كل دراسة اتخذت من النص اللغوي منطلقاً لتحديد غرض المتكلم ومقاصد الكلام في عملية اتصال محددة ؛ فتشمل في العصر الحديث المدرسة البنيوية الوصفية والمدرسة البنيوية التوليدية والمدارس الأسلوبية وسائر النظريات النصية مثل النظرية الماركسية ونظرية الاستقبال ، كما تشمل محاولات علمائنا العرب في تفسير القرآن وشرح الحديث النبوي الشريف وشرح الشعر ونقده وغير ذلك من محاولات دراسة الجملة وقواعد الإسناد عند النحاة ، وكيفية الإسناد وبلاغته عند البلاغيين ؛ إلا أن هذا البحث يجعل من كل هذه الدراسات النصية القديمة والحديثة . مراحل تمهيدية وتأسيسية لمنهج التحليل النصي الحديث أو ما يُسمى بعلم اللغة النصي أو الدراسة النصية Text Linguistics بالمفهوم العلمي الحديث لهذا المصطلح . على نحو ما أشرنا سابقاً .

هذا ، مع ملاحظة أن معظم هذه المناهج التأسيسية في دراسة النص اقتصر في دراستها على تحليل الجملة وتحليل علاقات الشكل والدلالة بين كلماتها ، حيث عُدَّت الآية وحدة التفسير عند المفسرين والبيت وحدة القصيدة لدى النقاد وشرح الدواوين ، والجملة وحدة التحليل لدى النحاة والبلاغيين ، ووحدة النص عند النقاد البنيويين .

وهذا ما جعل إجراءات التحليل تقتصر على بيان المعاني الجزئية للنص دون المعاني الكلية ، والكشف عن معاني الكلمات والجمل على حساب الكشف عن قصد المتكلم ومعاني النص ومقاصد الكلام ؛ على نحو ما نجده عند النقاد البنيويين في العصر الحديث، كما نجده من قبل لدى النحاة والبلاغيين الذين صرفهم الغرض النبيل وهو تعويد اللغة وتعليمها إلى الاهتمام بالتحليل الجملي على حساب التحليل النصي ، والاهتمام بتحليل علاقات الشكل والدلالة بين الكلمات داخل الجملة عن الاهتمام بتحليل تلك العلاقات بين مقاطع الكلام وفقرات النص ووحداته الكبرى Macro Structures وكذلك الأمر عند المفسرين ، صرفهم . الغرض النبيل وهو بيان الأحكام الشرعية المستتبطة من كل آية على حدة . عن بيان مغزى السورة ومقاصد الآيات؛ الأمر الذي جعل هذه الدراسة تُصَبَّ لبيان أهمية الدراسة النصية الشاملة التي ينتهجها علم اللغة النصي ، وأهمية بيان المعاني الكلية للنص أو لمجموع آيات الموضوع الواحد أو السورة الواحدة ؛ إذ يرتبط بها مغزى السورة وحكم

الأحكام وغاية التشريعات ، على نحو ما سنوضح ذلك تطبيقياً من خلال دراسة المعاني النصية في سورة المجادلة.
(إجراءات الدراسة النصية)

لقد تطورت إجراءات الدراسة النصية من اعتماد الجملة إلى اعتماد النص كله وحدة للتحليل ؛ وذلك بسبب تطور مفهوم النص اللغوي من كونه مجرد نظم مجموعة من العلاقات اللفظية في بنية دلالية إلى كونه خطاباً اتصالياً شارك في إنتاجه : متكلم أو مرسل ، ومخاطب أو مستقبل ، وسياق ، ومجموعة من العلاقات أو الوسائل اللغوية اللفظية والإشارية، وغير ذلك من سائر تداوليات الخطاب التي تلازم النص اللغوي منذ ولادته وحتى تحقق القيمة الإنجازية له . (١)

ولعل أفضل ما يعتمده الباحث من إجراءات الدراسة النصية أحداثها ، وهو ما يُسمى بالإجراءات المنهجية لعلم اللغة النصي ؛ وذلك في بيانه أهمية المعاني النصية في القرآن الكريم أي عند استفهام آياته واستنباط أحكامه واستدراك مقاصده مطبقاً ذلك على سورة المجادلة . ويرجع السبب في تفضيل الباحث لمنهج علم اللغة النصي في الدراسة والتحليل أن هذا المنهج يعتمد [النص كله] وحدة للتحليل ؛ الأمر الذي يجعل إجراءات التحليل تتسم بالشمول والتفصيل معاً ، أي شمول التحليل لكل العناصر المشاركة في إنتاج النص بوصفه خطاباً اتصالياً ، وتفصيل التحليل لكل العناصر اللفظية والوحدات الدلالية المشكلة للنص بوصفه بنية لفظية دلالية ؛ ومن ثم فلا غرو من القول بأنه منهج لغوي وصفي توليدي أسلوبى في آن واحد.

ومعنى هذا أن عبارة (المنهج النصي) أو (نحو النص) صارت مصطلحاً يُعني به في علم اللغة الحديث ذلك المنهج اللغوي الذي يحلل النص بوصفه وحدة لفظية ودلالية واحدة ، وأن ثمة في كل نص معنى كلياً ومغزىً دلاليًا ، يظهر مضمونه في كل بنى النص: الكبرى (فقرات النص وعناصره ووحداته الجوهرية) والصغرى [جملة وألفاظه] ؛ وأن هذا المعنى الكلي للنص لا يمكن فهمه جيداً إلا بالتحليل اللفظي والجمالي والأسلوبى للنص ،

١ - انظر المقصود بمصطلحات : تداوليات الخطاب، والنص ، والخطاب ، والقيمة الإنجازية : د. محروس محمد إبراهيم ، تداوليات الخطاب وضوابط الرواية والتلقي ، مجلة علوم اللغة ، مكتبة غريب ، القاهرة ، المجلد العاشر ، العدد ٣٧ ، يناير ٢٠٠٧ ، ١٦٣-١٦٧ .

بشرط أن يأتي تحليل ألفاظ النص وجمله وأساليبه في إطار الإلمام العام بالمعنى الكلي وغرض كل من النص والناص والسياق اللغوي والمقامي والثقافي الذي أنتج فيه النص . وبعبارة أخرى فإن هذا المنهج يبدأ في تحليل النص من تحليل بناء الكبرى ووحداته الأساسية وعناصره الجوهرية ، من مثل تحليل : موضوع النص وعنوانه، والجملة الاستهلاكية والجملة المفتاحية ، وظواهره الأسلوبية والدلالية العامة ، ثم يلي ذلك التحليل التفصيلي لألفاظ النص وجمله والوسائل الداخلية للتماسك النصي بين الكلمات ، كل ذلك في إطار الرجوع ابتداءً وبين الحين والآخر إلى سياق الكلام ومناسبته ومقاصد كل من النص والناص .

هذا ، وقد أكد على أهمية إدراك الوحدات الكلية للنص قبل تحليل ألفاظه وجمله والوسائل الداخلية للتماسك النصي بين كلماته . بعض الباحثين العرب والأجانب مثل جاك ريتشاردز والدكتور صلاح فضل ، حيث أسماها الأول البنية الكبرى *Macro Structure* وعرفها بأنها : " التركيب المقدر الذي يفسر أو يعلل تنظيم النص أو الخطاب " (١) ، كما أسماها الثاني البنية العليا ، حيث : " يعتمد تفكيك النص إلى الوحدات المكونة له على الإدراك السليم لبنيته العليا ، مما يعد شرطاً ضرورياً لتحليل علاقاته وضبط خواصه " (٢) وخلاصة القول أن عملية تحليل النص وتفسيره ونقده تمر بأربعة إجراءات منهجية تحليلية ، يمكن توضيحها على النحو الآتي:

الإجراء الأول : تحليل العناصر التداولية للنص

ويعنى بذلك الإجراء إدراك التماسك التداولي للنص [علاقة النص بكل من المتكلم والمخاطب والسياق] ؛ لأن للسياق دوراً لا يُنكر في تفسير ظواهر اللفظ والدلالة في النص كما أن لقصد المتكلم وغرضه من الكلام دوراً في تحديد دلالات النص ، فضلاً عن أن للمخاطب والمتلقي دوراً فعالاً في سد فراغات النص وتأويل حذفاته ؛ بحيث تتحدد في نهاية التحليل والتفسير دلالات النص ومقاصد الكلام في ضوء من سياق النص وقصد المتكلم وتأويل المتلقي .

الإجراء الثاني : تحليل مضمون النص وإدراك الرابط المعنوي بين موضوعاته

¹ - J . Richards et al , Longman Dictionary , p . 251 .

^٢ - دكتور صلاح فضل ، بلاغة الخطاب وعلم النص ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، ع ١٦٤ ، أغسطس ١٩٦٦ ، ٢٥٢ .

يهتم هذا الإجراء بالوقوف على تعدد موضوعات النص واختلاف جهات الخطاب فيه ، وإدراك الرابط المعنوي بين هذه الموضوعات وتعدد جهات الخطاب ؛ وتفسير ما يتخلل النص من استطرادات وكثرة الالتفاتات ، وذلك بتحديد الهدف العام للنص وبيان صلة كل موضوع من موضوعات النص بالهدف العام له.

الإجراء الثالث : تحليل الظواهر الأسلوبية للفظ والدلالة واستنباط المقاصد الكلية للنص

يقصد به تحليل الظواهر التي يتماسك بها النصّ على مستوى اللفظ والدلالة ، وهي الوسائل العامة والشاملة التي يترابط بها النص على مستوى فقراته ومقاطع كلامه ووحداته الدلالية المحورية ، من مثل ظاهرة : التجاور ، والتقابل ، والتناص أو الاستبدال، والإحالة ، والتكرار ، والذكر والحذف والإضمار ؛ وغير ذلك من الوسائل أو الظواهر التي تعكس لنا المعنى الكلي للنص وغرض كل من النص والناص ، وهذا من أهم الإجراءات في تحليل النصوص وتفسيرها ونقدها ، والتي غفلت عنه مدارس التحليل الجملي للنص مثل محاولات كثير من النقاد والمفسرين والنحاة العرب القدامى ومحاولات البنيوية الوصفية والتفكيكية وغيرها من المحاولات الحديثة عند العرب والأجانب ؛ الأمر الذي جعل روبرت دي بوجراندي يقارن بين التحليل النصّي والتحليل الجملي ، ويؤثر في عملية تحليل النصوص وتفسيرها طريقة [التحليل النصّي] الذي يكشف عن مغزى الكلام ومقاصد كل من النص والناص ، كما يكشف عن المعنى الكلي العام ، والمعاني الأساسية المحورية ، والمعاني التحتية العميقة ، وهو ما لا يكشفه التحليل الجملي.^(١)

وقد أدرك هذا المعنى من قبل روبرت دي بوجراندي العلامة اللغوي عبد القاهر الجرجاني عندما اشترط لفهم النص وتحليله وتأويل معناه فضل رويّة وشدة تيقظ^(٢) ، وذلك على حد تعبير الجرجاني . لأن لكل جملة أو نص معنى ، وقد يكون لهذا المعنى معنى ، اصطلاح عليه الجرجاني ب(معنى المعنى) أو المعنى الثاني ، وأن هذا المعنى الثاني تحتي وعميق وغير مباشر ولا يمكن فهمه إلا بممارسة التأويل.^(٣)

الإجراء الرابع : تحليل الألفاظ والتراكيب وإدراك المعاني الجزئية للنص

١ - انظر : روبرت دي بوجراندي ، النص والخطاب والإجراء ، ٨٩ .
٢ - انظر : عبدالقاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ٩٨ .
٣ - انظر عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، تحقيق رشيد رضا ، ٧٠، ٢٧٢-٢٧٧ .

يأتي هذا الإجراء مكملاً لما قبله من إجراءات ، ويعنى به تحليل ظواهر التماسك النصّي بين الكلمات والجمل من مثل ظاهرة : الإضافة ، التعريف والتكثير ، والتعبير بالاسم أو الفعل أو الوصف ، الأفراد والتنثية والجمع ، وظاهرة التعلق والإسناد، الموقع والترتيب ، وما يتعلق بهما من معاني النحو وظواهره مثل ظاهرة التقديم والتأخير ، والحذف والذكر ، والفصل والوصل ، وغير ذلك من ظواهر التماسك النصّي بين الكلمات والجمل ؛ على اعتبار أن ثمة ارتباطاً وتشابهاً دلاليّاً وأسلوبياً بين النص وبناء اللفظية ووحداته الدلالية الصغرى وبين فقرات النص وبناء اللفظية ووحداته الدلالية الكبرى، وأن بيان ظواهر التماسك النصّي بين الكلمات يزيد في بيان ظواهر التماسك النصّي بين الفقرات ، وأن توضيح المعاني الجزئية زيادة في توضيح المعاني الكلية للنص ، وزيادة في الكشف عن غرض المتكلم ومغزى الكلام .

٣- منهج علم اللغة النصّي وعلاقته بتفسير القرآن

(التفسير النصّي للقرآن الكريم)

إذا كان التفسير والتأويل علمين اختصا . قدر الطاقة البشرية . ببيان دلالة الآيات القرآنية على مراد الله^(١) ؛ فإن علماً حديثاً مثل علم اللغة النصّي يمكن أن يُوظف منهجاً نصياً تحليلياً في تفسير القرآن الكريم وتأويل آياته واستنباط أحكامه واستدراك حكمه واستيضاح مقاصده.

ولِمَ لا؟ والقرآن الكريم قد نزل بلغة العرب وعلى سنن أساليبهم في الكلام ؛ ليدبروا آياته ويقوموا أحكامه وحدوده، وحرصاً على إتمام الفائدة والبيان فقد أمر الله الرسول صلى الله عليه وسلم في القرآن أن يبيّنه لهم . والعلماء هم ورثة الأنبياء ، وورثتهم في بيان الآيات واستنباط الأحكام ، قال تعالى (وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى

^١ - التفسير في اللغة كما ذكر ابن منظور "كشف المراد عن اللفظ المشكل" لسان العرب ، مادة (ف س ر) ، وهو لا يختلف عن معناه الاصطلاحي ، كما ذكر أبو حيان "علم يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن الكريم ، ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب ، وتنمات لذلك " البحر المحيط ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ٢ ، ١ ، ٢ ، وانظر نفس المعنى عند الزركشي في ، البرهان في علوم القرآن تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، دار التراث ، القاهرة ، ١٩٨٠م ، ١٧٤/٢ .

أما التأويل - في رأي من فرق بينه وبين التفسير مثل البغوي والسيوطي - فهو لغة من الأوّل والإرجاع ومصطلحاً يختص بعلم الدراية بكيفية صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى آخر يحتمله لغوياً وسباقياً مع سوق الأدلة على ذلك وهو بذلك يختلف عن التفسير الذي يختص بعلم الرواية أي معرفة أسباب نزول الآية وقصتها وأقوال السلف فيها. انظر: السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، مطبعة الحلبي ، القاهرة ، ١٩٣٥م ، ١٧٣/٢ . والراجح أن التفسير والتأويل مترادفان على نحو ما ذهب أبو عبيدة فإن كان ثمة من فرق بينهما حدّاً إلا أننا نجد المفسرين ساووا بينهم في تناول فقد سمي البيضاوي والنسفي والخازن تفسيرهم بـ (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) و (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) و (لباب التأويل في معاني التنزيل) ؛ وذلك لأنهم أدركوا أن الغرض من التفسير والتأويل واحد وهو تحليل الآيات القرآنية للإبانة - قدر الطاقة البشرية - عن مراد الله منها.

الرَّسُولِ وَالْيَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ
لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا (النساء: ٨٣)

وإذا كان تفسير القرآن الكريم وتأويله لا يتحقق إلا بالتحليل اللفظي والدلالي للآيات ، ومنهج علم اللغة النصي من أحدث المناهج في تحليل النصوص وتفسيرها والكشف عن معانيها ومقاصدها . فإن صلة طبيعية يمكن أن تكون بينهما ، تتبلور هذه الصلة فيما يمكن أن تسميه الدراسة [منهج التفسير النصي للقرآن الكريم] ، وتعني به منهج تفسير القرآن الكريم تفسيراً نصياً بالمفهوم الشامل لكلمة نص ، أي أن هذا المنهج ينظر إلى القرآن الكريم بصفته نصاً واحداً وكلاً متكاملًا ، فالقرآن الكريم وقراءاته وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم المفسرة له تُعد نصًّا واحدًا له مقاصد واحدة، ولذلك لا تفسر الآية من القرآن تفسيراً دقيقاً يكشف عن معانيها وإشاراتها ومقاصدها إلا في ضوء النص القرآني كله؛ لأن القرآن الكريم يفسر بعضه بعضاً ، وما لم يفسر من القرآن بالقرآن فسرته الأحاديث النبوية، وما لم تفسره الأحاديث النبوية فسرته أقوال الصحابة الذين عايشوا أسباب النزول والأحوال والمقامات والأحداث التي نزلت بشأنها الآيات، فضلاً عن أنهم الأقرب عهداً لدلالة الألفاظ التي نزل بها القرآن الكريم . أمّا الآيات التي لم يرد فيها تفسير يؤثر فالعلماء الذين هم ورثة الأنبياء مسئولون عن تفسيرها في ضوء ما فُسر أو في ضوء القواعد العامة للتفسير والمقاصد العامة للتشريع .

وهذه المعاني الكلية هي ما جعلها المنهج النصي في تفسير القرآن من أوليَّاته وهو ما أسماها بالمعاني والإشارات الكلية للآيات ، التي لا تُفهم من الآية الواحدة ، وإنما تفهم من ظواهر التكرار والفصل والوصل والتجاور والتناظر والتقابل بين آيات القرآن وموضوعاته سواء على مستوى السورة الواحدة ، أم على مستوى النص القرآني كله. وهذا ما يُسمى في المنهج النصي بظواهر التماسك النصي بين الفقرات أو الوحدات الكبرى للنص .. وهو ما افتقدته الدراسة في معظم مناهج تفسير القرآن الكريم وكتبه ، التي اهتمت بشكل تفصيلي بظواهر التماسك الدلالي بين الكلمات والجمل من : إضافة وحذف وذكر وتقديم وتأخير وتعريف وتكثير وفصل ووصل ... وغير ذلك مما له أثر مباشر بمعنى كل آية وأحكامها . وهذا ما اهتم به كذلك المنهج النصي في تفسير القرآن ولكن بعد اهتمامه بظواهر التماسك

الدلالي بين فقرات النص وبناء الكبرى ، لأن فهم الآية وتفسيرها الدقيق لا يتأتى إلا في إطار رؤية شمولية للنص وموقع هذه الآية من البنية الكلية للنص ومقاصده العامة .

٤ - المنهج النصي ومناهج التفسير

يهتم هذا المبحث باستعراض مناهج تفسير القرآن الكريم من القديم إلى الحديث ، مبيِّناً خصائص هذه المناهج بعامة ومميزات بعض التفاسير بخاصة، ومحللاً الخصائص وتلك المميزات في ضوء علم اللغة النصي بصفته من أحدث المناهج اللسانية في تحليل النصوص وتفسيرها ؛ وصولاً من ذلك كله إلى منهج لساني نصي يهتم في تحليله للنصوص بالمعاني النصية الكلية والتداولية الاتصالية قدر اهتمامه بالمعاني اللفظية والتركيبية والأسلوبية .

والآن يمكن للدراسة أن تتناول تحليل مناهج التفسير وذلك على نحو ما يأتي :

(٤ - أ) - تفسير الرسول والصحابة ونشأة مناهج التفسير

بدأ التفسير بتفسير الرسول صلى الله عليه وسلم ببيانه المُجمل وتقييده المطلق وتخصيصه العام وتأكيده الموضَّح من القرآن الكريم ، سواء أكان ذلك بسنته القولية (أحاديثه الشريفة) أو بسنته الفعلية وسيرته العطرة ، إذ كان صلى الله عليه وسلم كما في حديث عائشة قرآنا يمشي على الأرض .^(١)

والصحيح أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد فسر كل ما سأله الصحابة عنه في القرآن الكريم ، إذا وكل الله إليه بيان القرآن الكريم كما في قوله تعالى (بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) (النحل: ٤٤) ، فوضح لهم المقصود ببعض ألفاظ القرآن الكريم ، مثل المقصود بالمغضوب عليهم والضالين في قوله تعالى: (صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ) (الفاتحة: ٧) ، والمقصود بالكوثر في قوله تعالى : (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ) (الكوثر: ١) ، والمقصود بالصلاة الوسطى في قوله تعالى : (حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ) (البقرة: ٢٣٨) ، والمقصود بكلمة التقوى في قوله تعالى (وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ

^١ - انظر تفصيل ذلك بالأمثلة : د . محمد حسين الذهبي ، التفسير والمفسرون ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م ، ١ / ٥٥ - ٥٧ .

اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) (الفتح: من الآية ٢٦) ، والمقصود بكلمة (ظلم) في قوله تعالى : (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ) (الأنعام: ٨٢)

وأخذ الصحابة يروون عن الرسول صلى الله عليه وسلم تفسيره القرآن ، وعلى رأسهم عبدالله بن عباس بمكة ، وأبي بن كعب بالمدينة ، وعبدالله بن مسعود بالعراق ، وإلى جانب ما يروونه من تفسير الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ أخذوا يفسرون باجتهادهم وقدرتهم على الاستنباط من القرآن ما بقي مشكلاً ولم يرد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء من تفسيره ؛ وذلك بمقتضى علمهم بأمر ثلاثة ، وهي : الأسباب والمناسبات والظروف والملابسات التي نزل فيها القرآن ، كل ما فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن ورووه عنه ، ألفاظ لغة العرب ومعانيها وأساليبهم في الكلام ، ولا سيما أنهم أقرب عهداً وأكثر معاشة للغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم . وكل ذلك يعطيهم المقدرة على تفسير القرآن وبيان معانيه ومقاصده .^(١)

وإذا نظرنا إلى ما ورد وصح عن الرسول صلى الله عليه وسلم من تفسير أو أحاديثه المفسرة ، وإلى ما صح من تفسير صحابته الكرام – نجده جميعاً لا شيء يعدله في تفسير المواضع والآيات التي فسروها ، والكشف عن معاني هذه الآيات وأحكامها وحكمها وإشاراتنا وكافة مراد الله منها ، وهذه غاية أية عملية تفسير أو تحليل كما ذكرنا. وذلك على أن نأخذ في الاعتبار شيئين : الأول : أن المواضع أو الآيات التي ورد تفسيرها عن الرسول صلى الله عليه وسلم أو صحابته الكرام محدوده^(٢) ، والثاني أن لتفسير الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته خصوصية في القبول والوصول إلى مراد الله ؛ مرجع هذه الخصوصية في التحليل والتفسير خصوصية الرسول صلى الله عليه وسلم في صلته بالقرآن الذي نزل عليه وجمعه الله له في قلبه (لا تُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ) (القيامة: ١٦ ، ١٧) ، ومنحه الله مثله من الوحي ، لقوله صلى الله عليه وسلم (إني أُتيتُ

^١ - ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، نقحه وراجعته الشيخ خالد محمد محرم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٩٦م ، ٣/١ .
^٢ - أقصد بمحدوده : أنه لم يرد عن الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام أنهم فسروا القرآن كله ، فالكثر الكثرة من آيات القرآن لم يصلنا عنها شيء من تفسير الرسول صلى الله عليه وسلم أو الصحابة ؛ وذلك يعود لما نقله ابن جرير عن ابن عباس : " التفسير على أربعة أوجه : وجه تعرفه العرب من كلامها ، وتفسير لا يقدر أحد بجهالته ، وتفسير تعرفه العلماء ، وتفسير لا يعلمه إلا الله " . ابن جرير ، جامع البيان في تفسير القرآن ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ١٣٢٣هـ ، ٢٥/١ .

القرآن ومثله معه ...)^(١) أما خصوصية تفسير الصحابة فتعود للخصوصية التي أشرت إليها من قبل ، من مثل علمهم بالأسباب والمناسبات والملابس التي نزل فيها القرآن ، وعلمهم بلغة العرب وأساليبها التي نزل بها القرآن في عهدهم ؛ ولما عُرف عنهم من العلم الصحيح والعمل الصالح ، ومعايشتهم للرسول صلى الله عليه وسلم وروايتهم عنه أحاديثه وتفسيره لآيات القرآن الكريم . وكل ذلك يقابل في علم اللغة النصّي المعرفة بسياق النص ومقاصد الكلام والمخاطب وتداوليات الخطاب .. وكلها عناصر تساعد بحق على تحقيق الموضوعية في التفسير والتحليل ، على نحو ما ذكرنا آنفًا في مفهوم الدراسة النصّية .

ولما كان النص القرآني لم يخرج عن سنن العربية في ألفاظها وتراكيبها وأساليبها. كان على كل مسلم أحاط بقواعد التفسير وأصوله أن يدبّر آيات القرآن ويبين أحكامها وحكمها وإشاراتها ولطائفها ، وذلك في كل ما لم يرد فيه مآثور تفسيري صحيح عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وما أكثر هذه الآيات التي لم يرد عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه فسرها ! بالإضافة إلى أن مواضع غير قليلة في القرآن الكريم نزلت بأحرف متعددة، وبألفاظ مجملّة أو متشابهة أو عامّة أو ظنيّة في دلالتها ؛ توسعة للحكم وتعدداً للمعاني وتيسيراً على المسلمين ؛ الأمر الذي أحس أمامه كلُّ مسلم امتلاك أدوات التفسير . بضرورة أن يُفسر الظنيّ والعامّ والمجمل ، وأن يُوفّق بين المختلف أو ما يبدو مختلفاً ، وأن يوضح المتعدد ، وأن يبيّن المتشابه ؛ وقد كان بالفعل هذا الأمر ، ونجم عنه كثير من كتب التفسير ومعاني القرآن .

هذا ، ونظرًا لأن آيات القرآن الكريم – كما أشرت – فيها أدوات الأحرف الظني والعام والمجمل والمتشابه والمتعدد والمكرر أو ما يبدو مكرراً ، ونظرًا لاختلاف المفسرين في اهتماماتهم النحوية واللغوية والفقهية والبلاغية والتاريخية ، ومذاهبهم الكلامية سنة وشيعَةً ومعتزلةً ؛ جاء الكثير من كتب التفسير وكتب معاني القرآن وتعددت اتجاهات المفسرين ومناهجهم في ذلك ، بل تميزت بعض كتب التفسير عن بعض نظرًا لاختلاف المفسر في اهتماماته ، أو في منهجه ، أو في رأيه واجتهاده وأدلته التي يستند إليها . وهذه الاتجاهات وتلك المناهج ما سنتعرض لها بشيء من التفصيل والتحليل والنقد في ضوء علم اللغة

^١ - حديث القرطبي ٣٧/١ .

النصي بصفته من أحدث المناهج اللسانية في تحليل النصوص وتفسيرها - وذلك على نحو ما سيتضح بعد .

(٤-ب) - منهج التفسير بالمأثور

يُعني بمنهج التفسير بالمأثور ذلك المنهج الذي يعتمد فيه أصحابه أساساً عند تفسير الآية من القرآن على ذكر كل ما أثر في تفسيرها من أحاديث نبوية شريفة أو أقوال السلف الصالح ، إلى جانب ذكر سائر الآيات القرآنية التي تعالج نفس الموضوع ؛ مع ملاحظة أمرين : الأول ، أن هذه التفاسير - وإن غلب عليها حشد الأحاديث والآيات والأقوال المأثورة - لم تخلُ من اجتهادات أصحابها وإعمال أفهامهم في استنباط الأحكام وتوجيه الأقوال والترجيح بينها ؛ والأمر الثاني أن هذا الجانب من الاستنباط والاجتهاد والنظر العقلي يختلف قدره من تفسير إلى آخر .

ويمكن أن نعرض لأشهر كتب التفسير بالمأثور ، وهي :

- ١- بحر العلوم ، لأبي الليث السمرقندي ٣٧٣هـ
 - ٢- الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، لأبي إسحق الثعلبي ٤٢٧ هـ
 - ٣- معالم التنزيل ، لأبي محمد الحسين البغوي ٥١٠ هـ .
 - ٤- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، لابن عطية الأندلسي ٥٤٦ هـ
 - ٥- تفسير القرآن العظيم ، لأبي الفداء الحافظ بن كثير ٧٧٤ هـ
 - ٦- الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، لعبد الرحمن الثعالبي ٨٨٦ هـ
 - ٧- الدر المنثور في التفسير المأثور ، لجلال الدين السيوطي ٩١١ هـ
- والملاحظ أن كل هذه الكتب السابقة وغيرها يغلب عليها منهج التفسير بالمأثور ، حيث يعتمد أصحابها بشكل أساسي في تفسيرهم الآيات على ذكر ما يروونه بسنده من أحاديث نبوية شريفة أو أقوال مأثورة عن الصحابة والتابعين ، ولا يعني هذا أن تلك الكتب خلت تماماً من اجتهادات أصحابها واستنباطاتهم العقلية ، بقدر ما يعني أن أصحاب هذه التفاسير غلبوا التفسير بالأقوال المأثورة على إبداء آرائهم واستنباطاتهم العقلية ، التي قد يذكرونها أحياناً بعد ذكرهم الآيات والأحاديث وأقوال الصحابة والتابعين التي يعتمدون عليها بشكل أساسي في تفسيرهم .

والملاحظ ثمة قبل أن نعرض منهج أحد كتب التفسير بالمأثور أن بعض الباحثين جعلوا تفسير الطبري [جامع البيان في تفسير القرآن] على رأس قائمة كتب التفسير بالمأثور ، على نحو فعل الدكتور محمد حسين الذهبي في مصنفه (التفسير والمفسرون)^(١)، في حين ترى هذه الدراسة أنه من باب أولى أن يُحمل تفسير الطبري على أنه من أفضل كتب التفسير بالرأي والاجتهاد ، حيث أقام منهجه على ذكر الآية ثم يؤولها بأسلوبه ، ثم يذكر ما جاء في تفسيرها من أحاديث نبوية وأقوال الصحابة والتابعين ومذاهب الفقهاء . وهو في ذلك لا يسرد هذه الأقوال وتلك المذاهب إلا ليُعمل عقله فيها ، موجهاً للأقوال مستتبهاً للأحكام مرجحاً بين المذاهب وأدلتها ؛ حتى يجيء تفسيره ورأيه في النهاية بوجهة نظر مختلفة أو بزيادة مفيدة ، وفي نفس الوقت لا تتنافى مع هذه الأقوال المأثورة أو تلك المذاهب المروية وهذا ما تدعو إلى تبنيه هذه الدراسة عند تفسير النص القرآني ، مع ترك الاستطرادات الطبرية التي تفقد قيمتها التفسيرية وإن بقيت قيمتها العلمية .

ويمكن الآن بيان منهج التفسير بالمأثور من خلال عرض أحد كتب التفسير السابقة ، التي انتهجت هذا المنهج ، وليكن [تفسير القرآن العظيم] للحافظ العلامة عماد الدين أبي الفداء ابن كثير .

يُعد (تفسير القرآن العظيم) لابن كثير ٧٧٤هـ من أشهر كتب التفاسير عامة ، ومن أبرز كتب التفسير بالمأثور خاصة ؛ ومرجع ذلك إلى سهولة أسلوبه وإيجاز عباراته، وما يمتاز به من تفسير الآية وتوضيحها بغيرها من الآيات التي تعالج نفس الموضوع ، وهو ما يُسمى بتفسير القرآن بالقرآن ، بالإضافة إلى تفسيره الآية من القرآن بما يذكره من أحاديث نبوية تتعلق بها، وهو ما يُسمى بتفسير القرآن بالحديث ، ثم يُردف ذلك بذكر المأثور من أقوال الصحابة والتابعين وأقوال الفقهاء وأدلتهم التي تتعلق بكل آية ؛ وهو في ذلك كله يرجح بعض الأقوال على بعض ، ويضعف بعض الروايات ويصحح بعضها ، ويعدل بعض الرواة ويجرح بعضهم ؛ وهذا لما له من معرفة بفنون الحديث وأحوال الرجال .

وإذا نظرنا إلى كتب التفسير بالمأثور من وجهة نظر علم اللغة النصي نجد أن ثمة ميزات وسلبات منهجية وتفسيرية في هذه الكتب .

^١ - دكتور محمد حسين الذهبي ، التفسير والمفسرون ، ٢٠٤/١ .

فمن مميزاتها المنهجية والتفسيرية أن أصحابها أولوا في تفسيرهم للنص سياق الحال والمقام وسياق اللغة والمقال أهمية كبرى تمثلت في إيجابهم عند تفسير الآية من القرآن المعرفة بسائر الآيات التي تلتقي معها في نفس الموضوع ، وكذا المعرفة بالأحاديث النبوية وأقوال الصحابة والتابعين والفقهاء المفسرة للآية محل التفسير ؛ وفي ذلك اهتمام لا يخفى بنص الآية والنصوص المشابهة لها من القرآن والحديث ، فضلاً عن أن ثمة اهتماماً بسياق الحال والمقام الذي توضحه أقوال الصحابة وما فيها من معرفة ومشاهدة لأسباب نزول الآيات والمقامات أو الأحوال والواقعات التي نزلت فيها .

أما السلبيات المنهجية والتفسيرية التي لوحظت في كتب التفسير بالمأثور عدم إعطاء الاجتهاد والاستنباط حقه ؛ بسبب اعتماد أصحابها بشكل أساسي في تفسيرهم الآيات - على رواية المأثورات التفسيرية ؛ الأمر الذي يفوّت على المفسر إدراك كثير من العبر والمواعظ والإشارات واللطائف ؛ لأن نص القرآن الكريم معطاء وحمّال للأوجه والمعاني على امتداد الزمان والمكان واختلاف الظروف والأحوال . ولا يكفي في فهمنا القرآن الاقتصار على فهم الصحابة له ؛ وإنما الواجب أن نعمل أفهامنا وعقولنا في تفسير القرآن وفهمه في ضوء تفسير الصحابة وفهمهم له ، أي لنا حق الفهم والتفسير بما لا يتنافى أو يتناقض مع فهم الصحابة له .

ومن السلبيات المنهجية والتفسيرية التي لوحظت كذلك على كتب التفسير بالمأثور الإكثار من ذكر الأقوال المأثورة عن الصحابة والتابعين وما شابها أحياناً من وجود اختلافات ، وذكر الروايات المروية في تفسير الآية الواحدة وما شابها كذلك من اختلافات وإسرائيليات؛ الأمر الذي فتح الباب أمام واحد مثل جولد زيهر أن يتهم كتب التفسير بالمأثور بالتناقض والاختلاف ، لأنها - في رأيه - اعتمدت في تفسيرها على ما يُروى عن الصحابة في تفسير الآية الواحدة من أقوال متخالفة وروايات متناقضة.^(١)

والحق أننا لسنا مع جولد زيهر في مأخذه وتشكيكه في تفسير الصحابة ، وخاصة تشكيكه في تفسير ابن عباس ، فإذا أقرنا معه بوجود اختلاف في الروايات ووجود

^١ - انظر : جولدزيهر ، المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن ، تعريب علي حسن عبد القادر ، مكتبة العلوم ، القاهرة ، ١٩٤٤م ، ٧٨-٨٢ .

إسرائيليات وأقوال منسوبة بالوضع إلى ابن عباس وغيره من الصحابة ، إلا أن للتفسير بالمأثور خصوصية في فهم النص القرآني ومميزات لا تخفى في المعرفة بسياق النص على نحو ما ذكرنا آنفاً ، فضلاً عن أن هذه الكتب نبهت على الرواية الصحيحة والرواية الضعيفة ، وأن هذه الروايات ليست خيالياً جامعاً بعيداً عن نص الآيات ، فهي إن فقدت قيمتها الإسنادية لم تفقد قيمتها الذاتية حيث تعبر عن رأي صاحبها واجتهاده في تفسير الآيات ، غير أن صاحبها كان يريد لها الرواج فنسبها إلى أحد الصحابة . أما بالنسبة للاختلاف بين أقوال الصحابة في تفسير الآيات. فمرده إلى أنه اختلاف تنوع واحتمال وليس اختلاف تناقض وتضاد ، والجمع بينه سهل ميسور على نحو ما ذكر لنا السيوطي في الإتيان.^(١) أما الاختلاف في أسباب النزول فمآله إلى أن الآية الواحدة قد تكون نزلت في أكثر من سبب أو عقب أكثر من واقعة ، ومن ثم كان الاختلاف .^(٢)

ومن السلبيات المنهجية والتفسيرية التي تؤخذ على كتب التفسير بالمأثور إذا عارضناها بمنهج التحليل النصي - كثرة الاستطرادات الخارجة عن تفسير النص وتحليله، مثل الاستطراد في إعراب الآيات واختلافات النحاة واللغويين واختلافات المذاهب العقديّة والفقهية وغير ذلك مما تقل قيمته التفسيرية وإن بقيت قيمته الذاتية .

(٤ - ج) - منهج التفسير بالرأي

يُقصد بهذا المنهج تفسير القرآن الكريم بطريق النظر العقلي والاجتهاد في القياس والاستدلال واستنباط الأحكام الأصلية والفرعية والمواعظ والحكم والإشارات واللطائف، وما شاكل ذلك من كل ما لا يمتنع استنباطه من القرآن الكريم ؛ وذلك بشروط ، مجملها: أن يكون المفسر أهلاً للتفسير والاجتهاد أي جامعاً لقواعد التفسير التي صارت علماً من علوم القرآن يعني بإقرار " القواعد التي يُتوصّلُ بها إلى استنباط معاني القرآن الكريم ، ومعرفة الراجح مما فيه خلاف " ^(٣) حيث قرر العلماء قواعد للتفسير وشروطاً للمفسر مؤداهما المعرفة الجيدة بالآيات القرآنية وقراءتها المتواترة ، وأسباب نزولها ، ومقاصده التشريعية وسائر علوم القرآن المتصلة بها مثل الناسخ والمنسوخ والمكي والمدني والمحكم والمتشابه ،

^١ - انظر : السيوطي ، الإتيان في علوم القرآن ١٧٩/٢

^٢ - انظر أمثلة ذلك : النيسابوري ، أسباب النزول ، تحقيق أيمن صالح شعبان ، دار الحديث ، القاهرة ، دبت ، ٨١-٨٢ .

^٣ - د . خالد بن عثمان السبت ، قواعد التفسير جمعاً ودراسة ، دار ابن عفان ، السعودية ، ط ١ ، ١ / ٣٠١

فضلاً عن كون المفسر صحيح الاعتقاد ، متجرداً من الهوى، ملماً بقواعد العربية ومعرفة ألفاظها ووجوه دلالاتها ، غير متنافٍ في تفسيره القرآن بالقرآن ، والقرآن بالسنة وأقوال الصحابة والتابعين .^(١)

وبالنظر إلى كتب تفسير القرآن الكريم نجد كثيراً من هذه الكتب قد نهج أصحابها تفسر القرآن بالرأي والاجتهاد ، فهل جاءت هذه التفاسير جامعة لكل الشروط التي اشترطها العلماء لتفسير القرآن ؟ وما تنتج عنه معارضة هذه الشروط لقواعد المنهج النصي الحديث في تحليل النصوص ونقدها ؟ وهذا ما سيبيّنه هذا المبحث ، حيث يذكر لنا بعضاً من كتب التفسير بالرأي ، مطلقاً نموذجاً من هذه الكتب ، مبيّناً مدى موضوعية هذه التفاسير في تحليل النص القرآني والكشف عن مقاصده العامة والخاصة ، وذلك بمعارضتها بالمنهج النصي الحديث في تحليل النصوص .

فمن كتب التفسير بالرأي والاجتهاد ما يلي :

- (١) جامع البيان في تفسير القرآن لابن جرير الطبري ٣١٠ هـ
- (٢) تفسير الكشاف (وهو من تفاسير المعتزلة) للزمخشري ٥٣٨ هـ
- (٣) تفسير مجمع البيان في تفسير القرآن (وهو من تفسير الشيعة) للطبرسي ٥٤٨ هـ
- (٤) التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) للفخر الرازي ٦٠٦ هـ
- (٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ٦٨٥ هـ
- (٦) مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي ٧٠١ هـ
- (٧) لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن ٧٤١ هـ
- (٨) غرائب القرآن و رغائب الفرقان للنيسابوري ٧٢٨ هـ
- (٩) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٧٤٥ هـ
- (١٠) تفسير الجلالين للمحلي ٨٦٤ والسيوطي ٩١١ هـ
- (١١) السراج المنير في الإعانة على معاني كلام ربنا الحكيم الخبير للخطيب الشربيني ٩٧٧ هـ
- (١٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود ٩٨٢ هـ
- (١٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للآلوسي ١٢٧٠ هـ
- (١٤) في ظلال القرآن للأستاذ سيد قطب ١٣٨٧ هـ
- (١٥) التحرير والتنوير لابن عاشور ١٣٩٣ هـ
- (١٦) خواطر محمد متولي الشعراوي للشيوخ محمد متولي الشعراوي ١٤١٨ هـ

^١ - انظر شرح هذه القواعد : الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ١٣/١ ، وانظر كذلك : مناع القطان ، مباحث في علوم القرآن ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٩٨ ، ٣٠١ - ٣٠٣ .

ومن ينظر إلى هذه التفاسير السابقة يلفت نظره أمران مختلفان ، وهما :
الأول : أن هذه الكتب وغيرها من كتب التفسير بالرأي والاجتهاد تلتقي في وحدة المنهج ، وهو الاعتماد بشكل أساسي في تفسير آيات القرآن الكريم على أعمال النظر العقلي والاجتهاد في فهم معانيها واستنباط أحكامها واستدراك إشاراتها ومواعظها ؛ وذلك عن طريق التحليل اللغوي لألفاظها وتراكيبها وأساليبها ، في ضوء المعرفة باللغة العربية: ألفاظها ودلالاتها ، سننها في التركيب ، وأساليبها في الكلام ، وفي ضوء العلم بأسباب النزول والناسخ والمنسوخ والمكي والمدني والمحكم والمتشابه .

والثاني : أن هذه الكتب - وإن تشابهت في المنهج على نحو ما سبق - تختلف بل تتناقض أحيانًا في التفسير ؛ وذلك لسببين : الأول أن أصحاب هذه الكتب يعتمدون في تفسيرهم على أعمال النظر العقلي والاجتهاد في الفهم والاستنباط والقياس والاستدلال ، وهذا أمر يختلف باختلاف المفسرين في اهتماماتهم العلمية ومذاهبهم العقدية . والسبب الثاني يعود إلى اختلاف هؤلاء المفسرين - عند تأولهم الآيات وتفسيرهم لها - في مدى التزامهم بدلالة الآيات في مناسباتها وأسباب نزولها ، ودلالة الألفاظ في اللغة العربية بعامة ، وفي سياق الآيات بخاصة .

فإذا أطلق المفسر نظره العقلي في تأويله الآيات وتفسيره إياها دون التقيد بمشهور دلالة الألفاظ في العربية ، وبخصوص دلالة الألفاظ في سياق الآيات - كان اجتهاده مذمومًا وتفسيره مردودًا من الجهتين الشرعية والعلمية ؛ لأنه أهمل في تحليل النص دلالة ألفاظه ودلالة سياقه ، وصار كمن لوى عنق النص وحمله ما لم يحتمل ، على نحو ما نجده في تفاسير المعتزلة^(١) وتفاسير الشيعة^(١). وهذا هو الأمر الذي جعل كتب التفسير بالرأي تنقسم على قسمين : كتب التفسير بالرأي الجائز ، وكتب التفسير بالرأي المذموم .

^١ - ومن أمثلة ذلك تأويل الزمخشري لقوله تعالى: (وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) القيامة: ٢٢ - ٢٣ . بمعنى : وجوه يومئذ ناظرة لنعمة ربها متوقعة ومنتظرة ، على أن (إلى) بمعنى (نعمة) مفرد (الاء) ؛ وذلك لأن المعتزلة تنكر رؤية الله ، فلما فغرت هذه الآية فاه الزمخشري على نحو ما قال نصر الدين المالكي في الرد عليه - أخذ يحمل الآية ما لم تحتمل ويحتج بأن التقديم يفيد حصر النعمة على المؤمنين ، وليس هذا بدليل لأنه ليس من مانع أن يفيد كذلك حصر الرؤية للمؤمنين دون غيرهم . انظر : الزمخشري ، الكشاف ، تحقيق محمد الصادق قمحاوي ، مطبعة الحلبي ، القاهرة ، ١٩٧٢م

ونظرًا لأن أصحاب هذه التفسيرات اعتمدوا في تفسيرهم على النظر العقلي واجتهادهم الشخصي ، طبع كل تفسير بطابع صاحبه ، وغلب على كل تفسير مذهب صاحبه العقدي أو اهتماماته العلمية ؛ فكان ثمة تفسيرات يغلب عليها المذهب السني مثل تفسير الرازي والبيضاوي والنسفي ، وتفسيرات أخرى يغلب عليها المذهب المعتزلة مثل تفسير الزمخشري ، وتفسيرات يغلب عليها المذهب الخوارجي مثل تفسير (هميان الزاد إلى دار المعاد) لمحمد بن يوسف إطفيش . ومن جهة أخرى غلبت على بعض التفسيرات النزعة الفلسفية والكلامية مثل مفاتيح الغيب للفخر الرازي الذي أفاض في ذكر مسائل علم الكلام في علوم الكون والطبيعة ، وتفسيرات أخرى غلبت عليها الصناعة النحوية مثل البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي الذي استطرد في ذكر مسائل الخلاف بين النحويين ، في حين غلبت النزعة البلاغية على بعض التفسيرات مثل روح المعاني للألوسي .

ويمكن أن نعرض منهج أبي حيان في تفسيره نموذجًا على منهج التفسير بالرأي الجائز ، ولعل الأفضل هنا أن ندع أبا حيان يبيِّن لنا منهجه في التفسير على نحو ما صرح بذلك في بداية بحره إذ يقول : (وترتيبي في هذا الكتاب أني أبتدئ أولاً بالكلام على مفردات الآية التي أفسرها لفظة لفظة ، فيما يحتاج إليه من اللغة والأحكام النحوية التي لتلك اللفظة قبل التركيب ، وإذا كان للكلمة معنيان أو معانٍ ذكرت ذلك في أول موضع جاءت فيه تلك الكلمة ، ليُنظر ما يناسب لها من تلك المعاني في كل موضع تقع فيه فيحمل عليه .

ثم أشرع في تفسير الآية ذاكراً سبب نزولها إذا كان لها سبب ونسخها ومناسبتها، وارتباطها بما قبلها ، حاشداً فيها القراءات شاذها ومستعملها ، ذاكراً توجيه ذلك في العربية ، ناقلاً أقاويل السلف والخلف في فهم معانيها ، متكلماً على جليها وخفيها ، بحيث أني لا أغادر منها كلمة وإن اشتهرت حتى أتكلم عليها ، مُبدياً فيها من غوامض الإعراب، ودقائق الآداب ، من بديع وبيان ... ناقلاً أقاويل الفقهاء الأربعة وغيرهم في الأحكام الشرعية مما

، ١٩٢/٤ ، وانظر رد الإمام نصر الدين المالكي عليه : الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال ضمن كتاب تفسير الكشاف للزمخشري ، ١٩٢/٤ .

^١ - ومن بدع تفسيرات الشيعة الاثني عشرية ، قصرهم الولاية والإمامة على سيدنا علي دون من سواه في قوله تعالى : (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) (المائدة: ٥٥) ، رغم أن نص الآية عام - وليس هناك دليل يخصصه معناها لا من النص ولا من السياق. انظر تفصيل ذلك : السيد عبد الله العلوي ، تفسير القرآن ، نقلاً عن : دكتور رمزي نعاة ، بدع التفسيرات في الماضي والحاضر ، مؤسسة أنوار الرياض ، ١٩٧١م ، ٦٠ ، ٦١ .

فيه تعلق باللفظ القرآني ، محيلاً على الدلائل في كتب الفقه ، وكذلك ما نذكره من القواعد النحوية أحيل في تقريرها والاستدلال عليها على كتب النحو ... ثم أختتم في جملة من الآيات التي فسرتها أفراداً وتركيباً بما ذكروا فيها من علم البيان والبديع ملخصاً ، ثم أتبع آخر الآيات بكلام منثور أشرح به مضمون الآيات على ما أختاره من تلك المعاني^(١) والواضح أن تفسير أبي حيان يُعد من أبرز كتب التفسير بالرأي المحمود ؛ لأن أبا حيان في تفسير الآيات أعمل فيها عقله واجتهد فيها برأيه ؛ ولكن ذلك في ضوء المأثور من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وأقوال الصحابة في التفسير ، مثله في ذلك - برأيه - مثل ابن جرير الطبري والفخر الرازي وغيرهما من المفسرين الذين جمعوا في تفسيرهم بين (التفسير بالرأي والتفسير بالمأثور)، ولا اختلاف بين هذه التفاسير إلا في بعض الآراء ، أو في إبراز جانب دون آخر من جوانب التفسير والتحليل.

ومعنى هذا أن كل تفسير بالرأي يمكن أن يجتهد صاحبه ويؤول ويستنبط برأيه ما يشاء شريطة ألا يتعارض في تأويله واجتهاده واستنباطاته مع المأثور من تفسير الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام ؛ لأن كثيراً من آيات القرآن الكريم وألفاظها ومقاصدها لا يمكن فهمها إلا في إطار ما شاهده وعاشه الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته من مقاصد وأحوال وأسباب نزلت بشأنها آيات القرآن ، ومن ثم لا يكون التفسير منهجياً إلا أن يكون في ضوء المعرفة بالمقاصد العامة للآيات وأسباب نزولها والناسخ والمنسوخ منها والدلالة اللغوية والسياقية لألفاظها (وهو ما يتضمنه التفسير بالمأثور) . أما تجاهل ذلك كله والانفراد بالرأي في تفسير الآيات فهو تجاهل المقاصد الآيات ومعاني ألفاظها وسياقها وأسباب نزولها، وسائر تداوليات الخطاب ، الأمر الذي يجعل التفسير مغالياً وغير منهجي ، على نحو ما نجده في مواضع كثيرة من تفاسير المعتزلة والخوارج والشيعة والصوفية ، أولوا بعض آيات القرآن الكريم وألفاظه بعيداً عن المعاني اللغوية العامة والسياقية الخاصة لهذه الألفاظ وتلك الآيات ، فحرفوا الكلم عن مواضعه ، فضلوا وأضلوا .

(٤ - د) - منهج التفسير الموضوعي

^١ - أبو حيان الأندلسي ، البحر المحيط ، ٤/١ - ٥ .

إذا كان لفظ (التفسير) يُعنى به كما في مفردات غريب القرآن للأصفهاني إظهار المعنى المعقول^(١)، ولفظ (الموضوعي) يعني به الالتزام بمعنى أو بموضوع معين^(٢)، فإننا في ضوء هذا المعنى وفي ضوء تعدد مناحي التفسير الموضوعي للقرآن الكريم - يمكننا أن نعرّف مصطلح التفسير الموضوعي تعريفاً جامعاً مانعاً على غير التعريفات الجزئية الواردة فيه^(٣)، فنقول بأنه : إظهار المقاصد والأحكام واللطائف والإشارات والمعاني القرآنية المستفادة من تفسير سورة بعينها ، أو من تفسير مجموعة آيات تتعلق بموضوع معين ، أو من تفسير لفظة ومشتقاتها في القرآن الكريم ومعرفة دلالاتها من خلال استعمالات القرآن لها .

ومما يمكن قوله هنا أن مصطلح التفسير الموضوعي مصطلح حديث لم يرد عن المفسرين القدامى ، ولكنهم مارسوا هذا التفسير في ثلاثة مناحٍ مختلفة ، وهي : .
المنحى الأول يظهر في جهود المفسرين وخاصة الفقهاء منهم في جمع كافة الآيات المتعلقة بموضوع أو بقضية معينة لفظاً أو حكماً وتفسيرها بعضها في ضوء بعض؛ لبيان حُكم القرآن ونظرته الكلية ومقاصده الشرعية من هذا الموضوع أو تلك القضية .
ويعد هذا اللون الأشهر في (التفسير الموضوعي) في عرف أهل الاختصاص ؛ حيث كثرت فيه مصنفات المفسرين قديماً وحديثاً ، فقد كانت كتب الفقه وأبوابه نماذج تطبيقية على هذا النوع من التفسير ، حيث جمع الفقهاء تحت كل باب كل آيات القرآن التي تتعلق به لفظاً وحكماً ، وأسموه كتاباً ، فكان عندنا : كتاب الطهارة وكتاب الصلاة وكتاب الزكاة ، وكتاب الحج ، وكتاب الصوم وغير ذلك من كتب الفقه التي تتعلق بالعبادات والمعاملات والفرائض والسير .

ومن هذا التفسير الموضوعي كتب : (أحكام القرآن) لأبي بكر الجصاص ٣٧٠ هـ وابن العربي المالكي ٥٤٣ هـ وإلكيا الهراسي ٥٠٤ هـ ، ومنه كذلك ما ألفه الباحثون

١ - الراغب الأصفهاني . المفردات في غريب القرآن ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٠ ، ٥٧١ .
٢ - انظر : دكتور . عبدالستار سعيد ، المدخل إلى التفسير الموضوعي ، دار الطباعة والنشر الإسلامية ، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠ .
٣ - أورد الدكتور عبدالستار سعيد أكثر من تعريف للتفسير الموضوعي ، غير أن كل تعريف ركز على منحى أو منحيين فقط من مناحي التفسير الموضوعي . انظر له : المدخل إلى التفسير الموضوعي ، ٢٠ .

المحدثون حول موضوعات مثل : الإنسان والرحمة والمرأة والأخلاق واليهود والصبر في القرآن ، ولا ننسى في هذا الباب كتاب (تفصيل آيات القرآن الكريم) للمستشرق جول لاجوم الذي حاول توزيع آيات القرآن على ثمانية عشر بابًا ، منها : التاريخ ، ومحمد صلى الله عليه وسلم ، والتبليغ ، وبنو إسرائيل ، والنصارى ، والتوحيد، والقرآن ، وما بعد الطبيعة ...

أما المنحى الثاني من التفسير الموضوعي فيقصد به تتبع لفظة ومشتقاتها في القرآن الكريم ؛ لمعرفة دلالاتها من خلال استعمالات القرآن لها ، ولإدراك الفرق في دلالة الكلمة في القرآن الكريم من آية إلى آية ومن سورة إلى سورة ، ليؤخذ ذلك في الحسبان عند استنباط الأحكام واعتبار المقاصد . ومن خير الأمثلة على ذلك كتب غريب القرآن وكتب الأشباه والنظائر في القرآن الكريم ، كالمفردات في غريب القرآن للأصفهاني ، وإصلاح الوجوه والنظائر للدامغاني .

والمنحى الثالث من التفسير الموضوعي يختص بتفسير القرآن الكريم ، كل سورة على حدة ، بحيث يُحدد هدف السورة أو أهدافها الرئيسية ثم تفسر آيات السورة وموضوعاتها الفرعية في ضوء العلاقة الكلية التي تجمعها بالهدف أو الموضوع الرئيسي للسورة . وبعبارة أخرى تُفسر السورة في ضوء ما عُرف عند المفسرين العرب القدامى بعلم المناسبات وهو : علم يُعرف به عللُ ترتيب أجزاء القرآن ، أي معرفة المعاني المستفادة من تناسب السورة بالسورة والآية بالآية وصدر الآية بفاصلتها ونواتج السور بخواتيمها^(١).

وقد ظهر هذا اللون من التفسير عند قدماء المفسرين أمثال الإمام الرازي في مفاتيح الغيب ، والسيوطي في أسرار التنزيل ، وتناسق الدرر في تناسب السور ، والغماري في جواهر البيان في تناسب سور القرآن ، والبقاعي في نظم الدرر في تناسب الآيات والسور .

ويعد تفسير الشيخ سيد قطب في العصر الحديث من أوضح كتب التفسير تطبيقًا لهذا اللون من التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ، حيث كان الشيخ سيد قطب مولعًا بعرض

١ - دكتور مصطفى مُسلم ، مباحث في التفسير الموضوعي ، دار القلم ، دمشق ، ١٩٨٩ م ، ٥٨

أهداف كل سورة قبل البدء في تفسيرها ، وبيان شخصية كل سورة وملاحظتها المتميزة عن بقية السور ، والأساليب المتبعة في عرض أفكارها (١)

والحق أن كل هذه الألوان الثلاثة من التفسير الموضوعي لا يمكن الاستغناء عنها في تفسير القرآن الكريم تفسيراً نصياً ؛ بيد أن كل واحد منها غير كافٍ للتفسير النصي للقرآن الكريم (بالمفهوم الأشمل لكلمة نص) ، أي باعتبار كل آية تمثل جزءاً من وحدة موضوعية لمجموعة آيات تلتقي معها في نفس الموضوع ، وكذا باعتبار كل آية تشكل مع آيات سورتها بعلاقات التجاور والتناص والتناظر والتقابل بنية لفظية ودلالية .

وهذا ما لم نجده في أي لون من الألوان الثلاثة للتفسير الموضوعي للقرآن الكريم ، فالتفسير الموضوعي لكل سورة على حدة لا يهتم بتفسير الآية في ضوء آيات موضوعها المتناثرة في سور أخرى من القرآن الكريم ، والتفسير الموضوعي الذي يهتم بتفسير الآية في ضوء آيات موضوعها لا يهتم بتفسير الآية في ضوء علاقات التجاور والتناظر والتقابل مع آيات سورتها ، والتفسير الموضوعي اللغوي لمعاني كل لفظة من ألفاظ القرآن لا يهتم كذلك بالمعنى العام للآية التي وجدت فيها هذه اللفظة ، ولا بالمقاصد الكلية للسورة التي وردت فيها هذه الآية ، بالإضافة إلى المؤلفين في هذا اللون من التفسير الموضوعي اكتفوا فقط بذكر المعاني القرآنية المختلفة الناجمة عن استعمالات القرآن لللفظة الواحدة ، ولم يبيّنوا العلاقة بين المعاني القرآنية والمعنى الأصلي للكلمة في العربية ، على المعاني الثمانية التي ذكرها الدامغاني لللفظة (خير) في القرآن الكريم ، وهي: (المال ، الإيمان ، الإسلام ، أفضل ، العافية ، الأجر ، الطعام ، الظفر والغنيمة) ، إذ لم يوضح العلاقات الدلالية بين المعنى الأصلي والمعاني المجازية ، فغابت عنا اللطائف البلاغية والمعاني الاستنباطية الكامنة وراء الاستعمالات القرآنية للكلمة^(٢) وكل هذا لم تغفله الدراسة النصية للقرآن على نحو ما سيتضح بعد .

١ - اعتاد الشيخ سيد قطب أن يذكر ذلك في بداية تفسيره كل سورة ، انظر له مثلاً تفسيره سورة المجادلة ، في ظلال القرآن، دار الشروق ، القاهرة / ١٩٧٨ ، ٣٥٠/٦

٢ - الدامغاني ، إصلاح الوجوه والنظائر ، دار العلم للملايين ، لبنان ، ط ١ ، ١٦٧ - ١٦٩ .

٥- تفسير سورة المجادلة بين مناهج التفسير ومنهج علم اللغة النصي

إذا كانت الدراسة قد حددت في المبحث الأول أسس المنهج النصي في تحليل النصوص وتفسيرها ، وناقشت في مبحثها الرابع مناهج تفسير القرآن الكريم على ضوء المنهج النصي - فإنها في هذا المبحث تقارن عملياً من خلال تفسير سورة المجادلة بين مناهج التفسير والتفسير النصي للقرآن الكريم ، لتبين إلى أي مدى تميزت كتب التفسير ومناهج بعضها عن بعض في إبراز بعض المعاني على بعض ، والتركيز على بعض أوجه الدلالات ولطائف الإشارات دون بعض ، الأمر الذي يجعلها تتمايز في منهج التفسير وأدوات التحليل ، ويمكن أن نوضح ذلك على النحو الآتي :

(٥ - أ) - تفسير سورة المجادلة ومنهج التفسير بالمأثور

اهتمت كتب التفسير بالمأثور في تفسيرها سورة المجادلة بتفسير كل آية على حده بذكر ما يتعلق بموضوعها من أحاديث وآيات وسرد ما جاء في تفسيرها من مختلف المرويات والمأثورات من أقوال وقصص ومناسبات ، فيتصدر تفسير كل آية قولهم : حدثنا فلان عن فلان وأخرج فلان عن فلان ليستتبط في النهاية ما تفيدته كل آية من أحكام فقهية وآداب شرعية ، على نحو ما نجد مثلاً عند كل من الحافظ العلامة ابن كثير ٧٧٤هـ في (تفسير القرآن العظيم) ، والإمام الفهامة جلال الدين السيوطي ٩١١هـ في (الدر المنثور في التفسير بالمأثور) .

فقط صدر ابن كثير تفسيره سورة المجادلة بقوله : "قال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن تميم بن سلمة عن عروة عن عائشة قالت : الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات ، لقد جاءت المجادلة إلى النبي صلى الله عليه وسلم تكلمه وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقوله فأنزل الله عز وجل : قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (المجادلة: ١) وهكذا رواه البخاري في كتابه التوحيد ... وأخرجه النسائي وابن ماجه وأبن أبي حاتم وابن جرير من غير وجه. وفي رواية لابن أبي حاتم عن الأعمش عن تميم بن سلمة عن عروة عن عائشة أنها قالت : تبارك الذي أوعى سمعه كل شيء ، إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى علي بعضه وهي تشتكي زوجها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وهي تقول : يا رسول الله أكل مالي

وأفنى شبابي ونثرت له بطني حتى إذا كبر سني وانقطع ولدي ظاهر مني اللهم إني أشكو إليك . قالت فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الآية".^(١)

وهكذا يستمر العلامة ابن كثير في تفسير كل آية على حدة يبدأ بذكر مختلف المرويّات والمأثورات من أقوال وقصص ومناسبات ، فذكر لنا في تفسير سورة (قد سمع). قصة المجادلة وحكم الظهار ، وقصة مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته بالصّفة ونجوى المنافقين بالضجر من حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفضيله أهل بدر ، وقصة نجوى الكافرين على الرسول والمسلمين بالإثم والعدوان ولحنهم في السلام ولمزهم بالكلام ومحادثهم الله ورسوله ، وقصة الصحابة الكرام في تجردهم لله ورسوله وإخلاصهم الحب والموالاتة لهما دون ما سواهما من نفس وأهل ومال.^(٢)

وهذا ما لم تختلف عنه قيد أنملة كل كتب التفسير بالمأثور ، فقد أورد الإمام السيوطي نفس هذه القصص والمناسبات الأربع التي ذكرها ابن كثير في تفسيره آيات المجادلة والظهار ، والإفصاح في المجالس ، ونجوى الكافرين بالإثم والعدوان ومحادثهم الله ورسوله ، وحكم الحب والموالاتة لله ورسوله ، أو للشيطان وحزبه.^(٣)

المهم هنا أن نؤكد على أن أصحاب كتب التفسير بالمأثور اهتموا في تفسيرهم بذكر أسباب نزول الآيات والمناسبات التي تمثل لها (سياق الحال) ، كما اهتموا بذكر سائر المآثورات من آيات وأحاديث نبوية تمثل (سياق المقال) ، لأن القرآن الكريم يفسر بعضه بعضاً ، كما أن أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم جاءت لتبيين للناس ما نزل إليهم . وهذا ما فعلته كتب التفسير بالمأثور وخاصة تفسير ابن كثير ، فذكروا لنا في تفسيرهم آيات سورة المجادلة بعضاً من الأحاديث النبوية والآيات القرآنية من سور أخرى، فمما ذكروا قوله تعالى (مُذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ سَبِيلًا) (النساء: ٤٣) ليوضحوا به قوله تعالى : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكُذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) (المجادلة: ١٤) كما ذكروا حديث

^(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٢٨٦/٤ ، ٢٨٧ .

^(٢) انظر ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٢٨٦/٤ - ٢٩٦ .

^(٣) انظر: السيوطي ، الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية ، القاهرة ط١ ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م ، ٢٩٨/٤ - ٣٣١ .

البخاري ومسلم عن ابن مسعود قال : قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجأ اثنان دون الثالث فإن ذلك يحزنه) في تفسيرهم قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْأَثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) (المجادلة: ٩)^(١)

والملاحظ هنا أن الحديث لا يوضح نص الآية ، وإنما ذكره لأن به حكمًا يتعلق بموضوع الآية وهي قضية النجوى ما يجوز منها وما لا يجوز .

ومن ثم يتضح لنا أن التفسير بالمأثور يهتم بتفسير كل آية من السورة على حدة ، في ضوء ما يلتقي معها في موضوعها من آيات وأحاديث نبوية ، وفي ضوء ما أثر في تفسيرها من أسباب نزول ومناسبات ومقامات وأقول الصحابة ، ليخلص في النهاية إلى توضيح ما تفيده الآية من دلالات مباشرة على أحكام فقهية أو آداب شرعية .

فغاب عن هذه التفاسير التعليق على أسباب النزول ومناسبات السور والآيات وحكم الأحكام ومقاصد الآيات ولطائف الإشارات المستفادة من خصوصية التعبير القرآني من بعض الألفاظ وبعض الأساليب ، والمتحصلة من تناسب الآيات والسور ودلالات النظم وحسن الترتيب ومعاني التناظر والتقابل والفصل والوصل والحذف والذكر والتقديم والتأخير والإحالة والربط ، وغير ذلك من معاني النظم ودلالات الأسلوب .

(٥ - ب) - تفسير سورة المجادلة ومنهج التفسير بالرأي

يتضح اختلاف كتب التفسير بالرأي في منهجها عن كتب التفسير بالمأثور في أنها ضيقت دائرة الاعتماد على المرويات والمأثورات في التفسير ووسعت دائرة التحليل اللغوي لألفاظ القرآن وتراكيبه وأساليبه . وبعبارة أخرى ضيقت الاعتماد على النقل ووسعت الاعتماد على إعمال الاجتهاد والعقل ليس فقط في تفسير الآيات واستنباط أحكامها على نحو ما هي الحال في التفسير بالمأثور - بل في تأول معانيها واستدراك إشاراتها واستيعاب مواضعها وحكمها ومقاصدها الكلية .

^١ انظر هذه الاستشهادات وغيرها : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٢٨٦/٤ - ٢٨٧ ، وأنظر السيوطي : الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، ٢٩٨/٤ - ٣٣١ .

ومعنى ذلك - على نحو ما أشرنا في المبحث الرابع - أن هذه التفاسير وإن التقت في عموم المنهج ، تختلف اختلاف بيّناً في مدى الأخذ بالموازنة بين النقل والعقل في تفسير الآيات وتأول معناها وإدراك مقاصدها - إلى حد جعل بعضها محموداً وبعضها مذموماً .

وإذا كان المنطلق والمنهج في كتب التفسير بالرأي - على التحليل اللغوي والأسلوبي لنص الآيات ، في ضوء المعرفة بقواعد العربية وسننها في النظم والترتيب ، وفي ضوء المعرفة بالسياق المقامي للآيات وأسباب نزولها والمآثور من تفسيرها - فإن هذه التفاسير قد طبعت بطابع أصحابها في مذهبهم العقدي واهتماماتهم العلمية ؛ فكان ثمة تفسير نحوي مثل تفسير أبي حيان (البحر المحيط) ، وتفسير بلاغي مثل تفسير الألوسي (روح المعاني) . ومعنى ذلك أن ثمة اختلافاً بينها في منهج تفسير الآيات وتحليلها لفظياً ودلالياً ، الأمر الذي يجعل أن ثمة معاني وحكمًا ومواعظ ولطائف وإشارات تدرك من تفسير ولا تدرك من آخر ، وذلك على نحو ما سينضح مثلاً من تفسير ابن حيان والألوسي لسورة المجادلة .

جاء تفسير أبي حيان الأندلسي ٧٤٥هـ سورة المجادلة في (البحر المحيط) - تفسيراً جزئياً ، أي يفسر كل آية على حدة من خلال تحليله لألفاظها وتراكيبها ومعرفة المعاني الفردية والتركيبية للألفاظ ، ذاكراً معنى الآية في ضوء ما ورد فيها من قراءات وما أثر في تفسيرها من مناسبات وروايات ومأثورات ، مرجحاً بين الروايات وموجهاً للقراءات ، ليخلص في نهاية تفسيره كل آية إلى أوجه معانيها ومختلف دلالاتها النحوية والبلاغية وأحكامها الفقهية .

بدأ أبو حيان تفسير سورة المجادلة بذكر القراءات الواردة في قوله (قد سمع): بإدغام الدال في السين أو إظهارها ، والقراءات في قوله : (الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ): يُظَاهِرُونَ وَيُظَاهِرُونَ وَيَنْظَاهِرُونَ ، و(مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ) على لغة الحجاز وقراءة الجمهور ، و(مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ) على لغة تميم وقراءة المفضل عن عاصم ، وقراءة ابن مسعود بزيادة الباء على لغة تميم كذلك (مَا هُنَّ بِأُمَّهَاتِهِمْ) ، ثم يوجه هذه القراءات نحويًا ودلالياً ، ثم يشفع ذلك بما ورد فيها من روايات حول أسباب نزول الآيات وما أثر في تفسيرها من أقوال على نحو ما أورده في قوله تعالى (وَأَنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مَنَّكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ) (المجادلة: من الآية ٢) أي عفو غفور مع الكفارة عن الظهار ، أو عفو

غفور بمجرد التوبة من الظهر كما نقل من الزمخشري في الكشاف ، ثم يعلق أبو حيان على رأي الزمخشري بأن رأيه ذو نزعة اعتزالية . ومعنى ذلك أن أبا حيان يورد القراءات في كل آية موجهاً لها نحوياً ودلالياً ، وكما يورد ما جاء في تفسيرها من أقول الصحابة ومذاهب الفقهاء مرجحاً بينها ، ليخلص في نهاية تفسيره كل آية بما يستفاد منها من أوجه المعاني ومختلف الدلالات وسائر الآداب الشرعية والأحكام الفقهية.^(١)

ونفس ما فعل أبو حيان في تفسير سورة المجادلة فعله الألويسي ١٢٧٠هـ في تفسير هذه السورة حيث يذكر أسباب النزول وما ورد فيها من قراءات ، غير أنه لا يهتم بتوجيه القراءات وذكر الأقوال والروايات المأثورة والترجيح بينها على نحو ما فعل أبو حيان ، وإنما زاد اهتمامه عن أبي حيان بتتبع الدلالات اللغوية للألفاظ القرآنية وأصلها اللغوي وتطورها ودلالاتها في الاستعمال القرآني وعلاقة هذه الدلالة بالدلالة الأصلية لها ، لبيان الإحياء اللفظية ، والدلالات المجازية والعقلية والأسلوبية المستفادة من خصوصية الاستعمال القرآني للفظة والتركيب ، فضلاً عن ذكر الدلالات المستفادة من حسن الترتيب والمناسبة بين الآيات والصور ، على نحو ما نجده ماثلاً عند الألويسي في استنباطه كثيراً من المعاني في استعمال القرآن وإيثاره في سورة المجادلة ألفاظاً مثل (تشتكي ، تحاوركما، نجوى ، ثلاثة وخمسة ، كَتَبَ ، بروح) وغير ذلك من ألفاظ لها أثر في تشكل المعنى القرآني وتحديد مقصده.^(٢)

فقد ذكر الألويسي في تحليله هذه الكلمات عدة معاني وإشارات بلاغية منها : أن لفظ (تشتكي) يعني : تظهر بثها وحزنها وما انطوت عليه من الغم والهم وتضرعها إليه عز وجل . وهو من الشكو وأصله فتح الشكوة وإظهار ما فيها ، وهي سقاء صغير يجعل فيه الماء . ثم شاع في ذلك المعنى.^(٣)

ولعل في شرح الألويسي بدلالة الفعل (تشتكي) في قوله تعالى (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ) وتوضيحه لأصل دلالة الكلمة وتطورها واستعمال القرآن لها - لعل في ذلك كله بياناً لمعنى التضرع لله

^(١) انظر : أبا حيان الأندلسي ، البحر المحيط ، ٢٢٩/٨ - ٢٣٩ .
^(٢) انظر : الألويسي ، روح المعاني ، في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، دار إحياء التراث العربي ، لبنان ، مج ٤ ، ج ٢٧/١ - ٣٧٠ .
^(٣) انظر : الألويسي ، روح المعاني ، مج ٤ ، ج ٢٧ ، ١ .

ومدى التذلل له والتماس العفو والمغفرة لما حدث من زوجها عليها تجد حكماً عند الله ورسوله غير الطلاق ، لأن الظهار في الجاهلية كان موجباً للطلاق.

ومن المعاني البلاغية التي أدركها الألوسي في سورة المجادلة وحل بها خلافاً قائماً بين المفسرين في تفسيرهم قوله (ثم يعودون لما قالوا) في الآية : (وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا ذَلِكَ تُوَعِّظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) (المجادلة : ٣) حيث ذكر المفسرون أن قوله (يعودون لما قالوا) يعني : يعورون للفظ الظهار أو يعودون للوطء ، أو بالعزم على إمساك الزوجة وعدم طلاقها. (١) في حين حمل الألوسي لفظ (العود) على (التدارك) مجازاً ، لأن التدارك من أسباب العود إلى الشيء وعليه يكون المعنى : "والذين يقولون ذلك القول المنكر ثم يتداركونه بنقضه وهو العزم على الوطء فالواجب عليهم إعتاق رقبة" (٢).

وعلى هذا النهج البلاغي يستمر الألوسي في تفسير سورة المجادلة مع ذكره أسباب نزول الآيات وما ورد فيها من قراءات ، فضلاً عن اهتمامه ببيان تناسب الآيات والسور ، إذ ذكر المناسبة بين سورة المجادلة وسورة الحديد قبلها بأن الحديد لما ركزت على بيان أن الله (الظاهر والباطن) جاءت المجادلة لتركز على أن الله هو (السميع البصير) (٣)

ولعل الكثرة الكاثرة من تفاسير القرآن الكريم وخاصة التفاسير الحديثة ركزت على بيان معنى الكلمات وشرح الآيات وتلخيص ما يستفاد منها من أحكام وهدايات ، على نحو ما وجدته مثلاً في تفسير سورة المجادلة عند كل من : الإمام ابن القيم ، وأبي بكر الجزائري ، والشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي. (٤)

ومن ثم يتبين لنا أن كتب التفسير بالرأي ركزت على تفسير القرآن الكريم من خلال التحليل اللغوي والأسلوبي لكلمات القرآن وتراكيبه ، وذلك في ضوء المعرفة بأسباب نزول الآيات وما ورد فيها من مآثورات ، غير أن جميع هذه الكتب فسرت القرآن تفسيراً جزئياً ،

(١) انظر: أبا حيان ، البحر المحيط ، ٢٣٣/٤ .

(٢) انظر : الألوسي ، روح المعاني ، مج ٤ ، ج ٣/٢٧ .

(٣) الألوسي ، روح المعاني ، مج ٤ ، ج ١/٢٧ .

(٤) وانظر: تفسير سورة المجادلة عند كل من : ابن القيم الجوزية ، بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام بن القيم الجوزية ، جمعه ووثق نصوصه يسري السيد محمد ، دار ابن الجوزي ، السعودية (١٩٩٢م) مج ٤ / ٣٩٥-٤٢٠ .

وانظر : أبا بكر الجزائري ، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، السعودية ، ٢٠٠٣م ، ٢٨٢/٥-٣٠٠ .

وانظر: الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، طه ، ٢٠٠٥م ، ٨٤٣ - ٨٤٨ .

كل معنى على حدة ، فبينت المعاني الجزئية والأحكام الفقهية المستفادة من كل آية أو آيتين وغاب هناك المعاني النصية للسور والمقاصد الكلية للآيات ، فلم يكن ثمة تفسير لعلاقات التجاور والتناص والتناظر والتقابل والتكرار والحذف والذكر والتقديم والتأخير والفصل والوصل والإحالة والربط بين آيات السورة وموضوعاتها ، وخاصة أن أسلوب القرآن في عرضه الموضوعات وفي حديثه عن الأشياء والأفراد والأمم والجماعات ، اعتمد على بلاغة الفصل أي فصل الموضوعات وتجزئة عرضها ووصلها بغيرها من الموضوعات التي تتقابل أو تتناظر معها ، على نحو ما سنوضح ذلك عملياً في سورة المجادلة .

(٥ - ج) - تفسير سورة المجادلة ومنهج التفسير الموضوعي

لعلنا لا نجد تفسيراً موضوعياً إلا في الكتب التي اهتمت بعلم المناسبات في القرآن الكريم مثل (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) البقاعي ٨٨٥هـ و (تناسق الدرر في تناسب السور) للسيوطي ٩١١هـ .^(١) أو في كتبت التفسير التي اهتمت في تفسيرها بتحديد هدف كل سورة قبل تفسيرها ، تم تفسير آيات السورة وموضوعاتها في ضوء العلاقات الكلية التي تجمعها بهدف السورة أو موضوعها الرئيس . ومن هذه الكتب : (مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير) للرازي ٦٠٦هـ ، و (في ظلال القرآن) للشيخ سيد قطب ١٣٨٧هـ .

ركزت كتب علم المناسبات على بيان تناسب سور القرآن فبينت مناسبة سورة المجادلة سورة الحديد قبلها ، حيث ذكر السيوطي قائلاً: "لما كان في مطلع الحديد ذكر صفاته الجليلة ومنها :الظاهر والباطن ،وقال (هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (الحديد:٤) افتتح هذه بذكر أنه سمع المجادلة التي شكت إليه صلى الله عليه وسلم ، ولهذا قالت عائشة (رضي الله عنها) حين نزلت : سبحان الذي وسع سمعه الأصوات ، إنني لفي ناحية البيت لا أعرف ما تقول :

^(١) ويجب التنبيه هنا أن للسيوطي كتاباً واحداً في علم المناسبات ، غير أن هذا الكتاب حقق مرتين ، حققه عبد الله محمد الدروش تحت عنوان (تناسق الدرر في تناسب السور) ونشرته مكتبة عالم الكتب ببيروت ط٢ ، ١٩٨٧م وحققه دكتور سيد الجميلي تحت عنوان (ترتيب سور القرآن) ، نشرته دار ومكتبة الهلال ببيروت ، ط١ ، ١٩٨٦م. ولقد قمت بمقابلة النسختين فوجدت نص السيوطي واحداً فيهما ، وليس هناك أدنى اختلاف ، والنسختان موجودتان بمكتبة كلية الآداب جامعة قطر .

وبذلك تعرف الحكمة في الفصل بها بين الحديد والحشر مع تأخيها في الافتتاح (بسبح) (١).

وبعد بيان السيوطي مناسبة المجادلة في مجيئها بين الحديد والحشر بين أن ثمة أكثر من موضع تُبرز فيه هذه السورة بيان أن الله هو السميع البصير ، حيث ذكر تكرار هذا المعنى في غير موضع من السورة ، منه قوله تعالى (لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (المجادلة:٧). (٢)

وواضح أن كتب علم المناسبات بينت معاني تفسيرية ومقاصد تشريعية كامنة خلف النظم القرآني وحسن ترتيب الآيات والسور وحسن تجاورها أو تناظرها أو تقابلها ، وهو ما لم نلمسه في كثير من كتب التفسير بالمأثور أو التفسير بالرأي ، على أن هذه الكتب اقتصرت على بيان تناسب بعض السور في ترتيبها ، أو تناسب بعض الآيات داخل السورة ، ولم تأخذ على عاتقها منهجاً موحداً في بيان هدف كل سورة وموضوعها الرئيسي ، ثم تبين مدى تناسبه لسائر آيات السورة وسائر موضوعاتها مع هدف السورة وموضوعها الرئيس لبيان المعاني التفسيرية والمقاصد التشريعية الكامنة وراء علاقات التجاور والتناظر والتداخل والتقابل بين آيات السورة الواحدة على نحو ما نجده واضحاً في منهج التفسير النصي للقرآن الكريم.

وبعد تفسير (في ظلال القرآن) للشيخ سيد قطب من أفضل كتب التفسير الموضوعي ، بل يمكن أن أقول هو التفسير الوحيد - فيما أعلم - الذي فسر القرآن كله تفسيراً موضوعياً ، حيث تناول كل سورة على حدة بصفاتها نصاً واحداً ، لها هدف رئيس ، وإن تعددت الموضوعات التي تتناولها ، فإن ثمة رابطاً يربطها ، وهو تركية هذا الهدف الرئيس للسورة ، فضلاً عن أن الشيخ سيد قطب كان لا يفسر فقط آيات السورة في ضوء بعضها

(١) السيوطي ، تناسق الدرر في تناسب الصور ، ١٣٠ . وانظر كلام الألويسي بهذا المعنى في تفسيره سورة المجادلة : روح المعاني ، مج ٤ ج ١/٢٧ .
(٢) انظر : السيوطي ، تناسق الدرر في تناسب السور ، ١٣٠ .

ببعض ، بل كان يفسر السورة المدنية أو المكية في إطار الأهداف العامة لكل من السور المدنية أو السور المكية .

ولذا ، فإن تفسير الشيخ سيد قطب من أكثر المحاولات اهتماماً ببيان المعاني النصية والمقاصد الكلية لسور القرآن ، غير أنه اقتصر في بيانه هذه المعاني في كل سورة على توضيح العلاقة التي تربط موضوعات السورة بالهدف الرئيسي لها ، ولم يوضح هذه المعاني من خلال ظواهر الترابط اللفظي والدلالي والأسلوبي بين وحدات السورة وأبنيتها اللفظية والدلالية الكبرى ، كظاهرة التقابل والتناظر والفصل والوصل والتكرار ، وغير ذلك من الظواهر الدلالية والأسلوبية التي تربط بين فقرات النص وموضوعاته ، والتي تتميز بها الدراسة النصية أو التفسير النصي للقرآن الكريم.

وعلى نحو منهج الشيخ سيد قطب في التفسير ، جاء تفسير سورة المجادلة سبجاً في ظلال السور المدنية كلها وأهدافها في تربية الجماعة المؤمنة وتقويمها ، حيث بدأ الشيخ سيد قطب تفسير السورة ببيان أهداف السور المدنية بصفة عامة وهدف سورة المجادلة بصفة خاصة ، ثم بين المفارقة التي رسمتها السورة بين معسكري الإيمان والكفر ، ثم أوضح مدى تناسب خاتمة السورة مع بدايتها ، ليبرز في كل هذا ترابط موضوعات السورة ودورانها حول تركية هدفها الرئيس ، وهو التأكيد على عناية الله بالمؤمنين . برحمته وحفظه ونصره وتأيبده لهم على أعدائهم وعلى الشيطان وحزبه.^(١)

وهو أمر جل في التفسير الموضوعي والتحليل النصي لسور القرآن الكريم ، والأجل منه في سياق التفسير النصي وبيان الوحدة الموضوعية والعقائدية لكل سورة إبراز ترابط السورة ، ليس فقط على مستوى فقراتها وموضوعاتها على نحو ما فعل الشيخ سيد قطب ، بل على مستوى آياتها وظواهر الأسلوب والدلالة فيها ، وهو عين ما يتميز به التفسير النصي للقرآن الكريم ، على نحو ما سيتضح بعد .

(٥ - د) - تفسير سورة المجادلة ومنهج التفسير النصي

إذا أردنا تفسير سورة المجادلة تفسيراً نصياً أي وفق منهج علم اللغة النصي ووفق المفهوم الأشمل لمصطلح نص والمعاني النصية التي أشرنا إليها في المبحث الثاني ، فلا بد

^(١) انظر : الشيخ سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ٦/٣٥٠١ - ٣٥١٦ .

أن نبين - من خلال تحليل ظواهر الترابط النصي : اللفظي والتركيبى والدلالي والأسلوبى - المقاصد الكلية العميقة للسورة والمعاني التفسيرية المباشرة لكل آية ، وذلك في ضوء الإلمام بالعناصر التداولية لنص السورة وخطابها من : سياق الخطاب ومناسبة النص ، ومتكلم له مقاصده ، ومخاطب موجّه له الخطاب حسب نوعه وحالته ، وهل هو مخاطب خاص أم عام؟

وبعبارة أخرى فإنه لا يتم لنا تفسير السورة تفسيراً نصياً إلا من خلال الانطلاق والالتزام بأربعة إجراءات منهجية تحليلية ، يمكن أن نجملها فيما يلي :

١- تحليل العناصر التداولية لنص السورة ، وهذا يعني أن نقرأ السورة في ضوء كونها خطاباً وكلاماً اتصالياً له متكلم وهو الله عز وجل ، ومخاطب قد يكون خاصاً وقد يكون عاماً ، وسياق مقامي أو أسباب نزول نزلت بشأنها الآيات ، فضلاً عن أن للمتكلم وهو الله عز وجل مقاصد من آيات السورة ، ولا تتضح هذه المقاصد من تفسير هذه الآيات إلا بجعل كل آية تمثل جزءاً لا يتجزأ من وحدة موضوعية تضم مجموعة آيات تلتقي معها في نفس الموضوع ، وغالباً نجدتها موزعة على أكثر من سورة في القرآن ، فضلاً عما يلتقي معها في ذات الموضوع من أحاديث نبوية تجيء مفسرة لنص الآية أو لمقاصد التشريع فيها.

٢- تحليل مضمون السورة والوقوف على تعدد الموضوعات وجهات الخطاب فيها ، وإدراك الرابط المعنوي بينهما . وهذا ما غاب عن معظم كتب التفسير القديمة والحديثة.

٣- تحليل الظواهر الأسلوبية للفظ والدلالة واستنباط المعاني العامة والمقاصد الكلية للسورة . أي إدراك مقصد السورة ومغزاها من دلالة السورة في عنوانها وترتيبها بين السور ، وفواصل آياتها ، وآيتها الاستهلالية والختامية ، فضلاً عن دلالة بعض الألفاظ ، أو بعض الأساليب ، ودلالة ظواهر الربط الدلالي مثل : ظاهرة الالتفات بين الضمائر ، وتكرار بعض المعاني ، والتناظر أو التقابل بين الموضوعات . وهذا ما لم أجده فيما قرأت من كتب التفسير.

٤- تحليل الألفاظ والتراكيب ، لإدراك المعاني الجزئية والأحكام الفقهية والآداب الشرعية لكل آية على حدة ، وهذا ما اهتمت به معظم إن لم يكن كل اتجاهات التفسير وكتبه القديمة والحديثة ، وهو رغم أهميته في التفسير لا تتعرض له الدراسة في تفسير سورة المجادلة نظراً لوجوده في كتب التفسير ، مراعاة للاختصار وعدم التكرار .

ويمكن الآن أن نسلك هذه الإجراءات المنهجية في تفسير سورة المجادلة على النحو الآتي:

أ- تحليل العناصر التداولية لنص السورة

لا نقف طويلاً عند هذا الإجراء في تفسير السورة لأنه إجراء تحضيري لما يليه من إجراءات تفسيرية ، إذا يقصد به قراءة السورة وتجميع الآيات والأحاديث التي تلتقي في موضوعها مع أي من آيات السورة ، ثم معرفة السياق والمناسبات وأسباب النزول التي نزلت بشأنها آيات السورة ، كل ذلك لتحديد مقاصد المشرع وجهات الخطاب المقصودة في الآيات ، حتى تُفسر كل آية بعد ذلك في إطار سياقها ومقاصد التشريع منها .

ب- تحليل مضمون السورة وإدراك الرابط المعنوي بين موضوعاتها

إذا عدنا لنص سورة المجادلة ألفيناها نتحدث في غير موضوع وبخصوص أكثر من فئة ، تحدثت عن قصة المرأة المجادلة ، وبعض الأحكام الفقهية والآداب الشرعية للفرد والأسرة والمجتمع المؤمن مثل حكم الظهار والإفساح في المجلس وكيفية نجوى الرسول وإطاعة أمره ، وقصة بعض المنافقين الذين تتاجوا بالضجر والغضب والهمز واللمز من حكم الرسول صلى الله عليه وسلم وفعله ، فضلاً عن موالاتهم لليهود ، كما تحدثت السورة كذلك عن إيذاء اليهود للرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام بتتاجيهم بالإثم والعدوان ومحادثتهم لله ورسوله ، وذلك في مقابل حديث السورة عن موقف الصحابة من حبهم وموالاتهم لله ورسوله والتجرد لهما عن النفس والأهل والمال .

وإلى جانب أن سورة المجادلة تحدثت عن ثلاث موضوعات أساسية بخصوص ثلاث جماعات رئيسية ، لم تتصل آياتها في عرض هذه الموضوعات ، أو في خطابها تلك

الجماعات ؛ فبدأت بقصة المرأة المجادلة خولة بنت ثعلبة زوجة أوس بن الصامت التي جادلت الرسول صلى الله عليه وسلم في أمرظهار زوجها منها ، ولم يرى لها رسول الله صلى الله عليه وسلم حكماً غير طلاقها منه ، فأخذت تراجع الحكم وتشتكي إلى الله ، ليجعل لها ولأولادها مخرجاً ، فسمع الله شكواها وجاءت الآية الثانية والثالثة والرابعة توصف شناعة الظهار وزوره قولاً وفعلاً ، وأن الله لما سمعه وأبصره من حال المرأة المسلمة وشكواها وتضرعها ، عفو لما سلف غفور لما مضى ، رحيم بعباده فاستبدل الله الطلاق الذي حكم به العرب على من ظاهر فيهم من زوجته - بالكفارة - تخفيفاً ورحمة ورعاية من الله لعباده المؤمنين في أدق أمورهم وأعظمها .

هذا ، ولم تتصل الآيات في الحديث عن الجماعة المؤمنة وبيان رعاية الله لهم ، وذكره أقوالهم وأفعالهم ليؤدبهم بآدابه ويعددهم ويربيهم على شرعه وحكمه - وإنما جاءت السورة بأربع آيات أخرى من الآية الخامسة حتى الثامنة تتحدث عن اليهود الذين حادوا الله ورسوله وتحزبوا مع غيرهم من الكافرين ، فعاندوا الحق ، وتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول وإيذائهم له بهمزهم ولمزهم ولحن سلامهم عليه ، وتوعدتهم الآيات بأن الله عليم بأعمالهم ومحصياهم عليهم ومعذبهم بها بالإلذال في الدنيا والنار في الآخرة .

وتقطع السورة حديثها عن الكافرين لتعود بخطابها إلى جماعة المؤمنين ، وذلك من الآية التاسعة حتى الآية الثالثة عشر ، حيث تستكمل هذه الآيات ما ابتدأت به السورة من آداب شرعية وأحكام فقهية يشرعها الله للفرد والأسرة والمجتمع المؤمن ، مثل : التأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وحسن مناجاته وإطاعة أمره والامتثال لحكمه وقضائه فيما اختلف فيه ، وعدم الضجر أو التناجي بسوء من قوله أو فعله على نحو ما حدث من بعض المنافقين في مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم معهم ومع بعض أهل بدر في الصفة ، وتفضيله صلى الله عليه وسلم أهل بدر في إجلاسهم ، وإنشاز غيرهم .. فجاءت الآيات خطاباً إلى المؤمنين وتعريضاً بالمنافقين وتعميماً للفظ والحكم في بناء المجتمع المؤمن ، لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

وتلقت السورة هذه المرة في الآيات الست التالية من الآية الرابعة عشر إلى الآية التاسعة عشر - عن خطاب المؤمنين إلى الحديث عن المنافقين لتوصف لنا سوء حالهم في

الدنيا ومآلهم في الآخرة ، لما يعيشونه في الدنيا من تخبط وتردد وذذبذبة ونفاق وكذب وهوان وصغار وقلق نفسي ، وما ينتظرهم في الآخرة من عذاب أليم ومهين.

وتأتي الالتفاتة الرابعة في تحول السورة من حديثها عن المنافقين خاصة إلى الحديث عن الكافرين عامة في الآيتين : العشرين والإحدى والعشرين ، لتقرر فيها قاعدة ربانية وسنة كونية مؤداها أن العزة والنصرة والغلبة لله ورسوله وحزبه وأن الذلة والهزيمة والخسران لكل من حاد الله ورسوله.

وتأتي الخاتمة الآية الأخيرة بالفتاة خامسة في خطاب السورة ، حيث تجعلها عوداً على بدء ، فتؤكد المعنى الذي بدأت به وهو رعاية الله للمؤمنين في كل أمورهم: الفردية أو الأسرية أو المجتمعية ، الداخلية بعضهم مع بعض أو الخارجية في علاقتهم بغيرهم من المجتمعات المنافقين أو الكافرين من اليهود والنصارى والمشركين ، وذلك لأنهم أي المؤمنين هم حزبه وأهل رضوانه.

فلا شك أن ما وجدناه في السورة من تعدد في الموضوعات ، وكثرة ما وقع بينها من التفاتات ، وأثرها على ترتيب الآيات ، وعدم تواليها في عرض الموضوعات - يدعونا حتماً إلى تفسيره والوقوف على أسراره وأثره في تحقق المعنى وتحقيقه في نفس المخاطب.

فالناظر إلى فقرات السورة وموضوعاتها الأساسية يجدها تدور حول هدف رئيسي وهو رعاية الله للمؤمنين بأنه سميع لدعائهم بصير بأحوالهم ، لأن كل ما جاءت به السورة من موضوعات مثل : قصة المرأة المجادلة وحكم الظهار ، وقصة مجلس الصفة وحكم الإفصاح في المجلس وحكم النجوى سواء نجوى المسلمين فيما بينهم أو نجواهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقصة بعض الصحابة الذين دفعهم حبهم لله وموالاتهم له إلى قتل أعدائه من آبائهم وأبنائهم وعشيرتهم ، وجزاؤهم في ذلك في مقابل عاقبة بعض المنافقين في موالاتهم اليهود ضد المؤمنين ، وقصة بعض اليهود الذين حادوا الله ورسوله وحكم هذه المحادة وعاقبتها ، كل هذه الموضوعات ذكرتها السورة أو ألمحت إليها لبيان مدى رعاية الله للمؤمنين كما هو واضح في رحمته بهم ورفع الكلفة والحرص عنهم في أمور الدين والتشريع ، مثل ما حدث من تخفيف في حكم الظهار ، ونجوى الرسول صلى الله عليه وسلم ، فضلاً عما وعدهم به من رضوانه ونعيمه ، وجعلهم جماعته وحزبه ، وكتب لهم تأييده ونصره ،

وذلك في مقابل أنه مخزي الكافرين والمنافقين في إيدائهم وعدائهم وكذبهم وخداعهم ، وكاشف أمرهم جميعاً لعباده المؤمنين ، وأنه كابتهم في الدنيا ومعذبهم في الآخرة ، ليشفي بذلك صدور قوم مؤمنين. ولعل كل هذه المعاني والموضوعات التي تضمنتها سورة المجادلة ، إنما جاءت لتؤكد وتجسد في صدور المؤمنين وقلوبهم معنى رعاية الله لهم في كل أمورهم ، وحفظه إياهم من كل فئة تحاول خداعهم أو إيذاءهم.

ومن ثم تترايط كل هذه الموضوعات برابط دلالي واحد ، إذ تأتي كل هذه الموضوعات بوصفها مواقف سلوكية وأحداثاً تاريخية وأسباباً حقيقية تجلت فيها رعاية الله وحفظه للمؤمنين.

أما ما يبدو من تعدد جهات الخطاب في السورة من المؤمنين إلى الكافرين إلى المنافقين - فإنه في حقيقته ليس تعدداً في الخطاب ولا تحولاً فيه من المؤمنين إلى المنافقين والكافرين ، وإنما هو تحول في الحديث والتفات في الكلام وتغيير في الموضوع، لكن جهة الخطاب واحدة ، فهي موجّهة فقط لعباد الله المؤمنين ، حيث تكرر مباشرة نداء الله لهم في هذه السورة ثلاث مرات بقوله : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) ، ولم يوجّه النداء مرة واحدة في هذه السورة إلى المنافقين أو اليهود . صحيح أن السورة تحدثت عنهم وعن دسائسهم وكذبهم وخداعهم ومحادثهم لله ورسوله ولكنه حديث عنهم بالغيب أو بضمير الغيبة ، وهذا يعني أن السورة في أساسها جاءت طمأننةً للمؤمنين برعاية الله لهم وحفظه إياهم ، فجاء الخطاب لهم مباشرة ، ثم جاء الكلام عن المنافقين والكافرين تعريضاً وتبكيئاً ، ليطمئن المؤمنون بنصر الله لهم ، وأنه مخز لهم كل من يعادونهم من المنافقين واليهود والمشركين.

ج- تحليل ظواهر اللفظ والدلالة واستنباط المقاصد العامة

يهتم هذا الإجراء باستنباط المعاني العامة والمقاصد الكلية لسورة المجادلة من خلال تحليل البنية اللفظية والأسلوبية للسورة ؛ فإن مجيء السورة تحت عنوان (المجادلة)، واستهلال السورة بهذه القصة ، وتفردتها دون غيرها من سور القرآن في ورود لفظ الجلالة (الله) في كل آية من آياتها ، فضلاً عن تكراره في بعض الآيات لتصل مرات وروده في السورة أربعين مرة ، إلى جانب ورود عشر صفات من صفاته الحسنى وتكرار بعضها لتصل إلى ثلاثة عشرة صفة ، أضف إلى ذلك تكرار نداء الله وخطابه للمؤمنين ثلاث مرات

بقوله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) ، وذلك دون توجيه خطابه إلى المنافقين أو الكافرين - فإن مجيء السورة بكل هذه الظواهر وغيرها من الظواهر الأسلوبية في اللفظ ليس إلا لتؤكد معنى ومقصدًا واحدًا ، وهو رعاية الله للمؤمنين بسمعه وبصره ، وحفظه وتأييده لهم على أعدائهم بقوته وعزته.

فظاهرة أسلوبية مثل : تسمية السورة بلفظ المجادلة (دون غيرها من التسميات مع اشتغال السورة على قضايا وأحداث أخرى جسيمة) وهي صفة المرأة المسلمة (خولة بنت ثعلبة) التي جاءت الرسول صلى الله عليه وسلم تجادله في أمر ظهار زوجها منه ، ثم استهلال السورة بالإشارة إلى قصتها - ليؤكد لنا مغزى السورة كلها الذي تدور حوله موضوعاتها وأحداثها ، وهو رعاية الله للمؤمنين والتعميق في نفوسهم الثقة واليقين بأنه سميع بصير ، فكما فعل الله بالمرأة المجادلة بأنه سمع لقولها وأزال شكايته ، فهو فاعل ذلك أبدًا لجميع المؤمنين ، سميع لهم بصير بجميع أحوالهم . الأمر الذي يؤكد لنا جدلية البناء والدلالة في القرآن الكريم . وهو ما نريد أن نؤكد ونبدل عليه مرارًا في هذا المبحث ، كما نريد أن نُفَعِّلَ الأخذ به في تفسير القرآن الكريم كله ، على نحو ما تدعو إليه هذه الدراسة.

ومن الظواهر اللفظية الأخرى في سورة المجادلة ، التي تركز لنا مقصد السورة ومغزاها - ما تفردت به هذه السورة من ورود لفظ الجلالة (الله) في جميع آياتها الاثنتين والعشرين ، وتكراره في بعض الآيات لتصل مرات وروده إلى أربعين مرة ، حيث تكرر في الآية الأولى فقط أربع مرات (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ) (المجادلة: ١). انظر معي إلى ما يشعه لفظ الجلالة (الله) في غير مرة من معاني الكمال والجمال والجلال ، ويمكن أن نقول في هذه الآية : قد سمع الله المرأة بكماله وتضرعت إليه لجماله ، وهو ناصرها بجلاله.

وتكرار لفظ الجلالة (الله) يقصد به تكرار معاني الكمال والجمال والجلال في نفوس خلقه ، وخاصة من آمنوا به ، ليكونوا على يقين وعقيدة قوية من هذه المعاني في كل أمورهم ، ليطمئن به كل مؤمن ، وليحذره كل معاند كافر . وكل هذا يركزي مقصد السورة ومغزاها . ويتأكد هذا المعنى كذلك لو نظرنا إلى ما جاء في فواصل آيات السورة من صفات الله الحسنی ، حيث جاءت الآيات تذكرنا بعد ما تذكره لنا من أقوال وأفعال وأحداث

وموضوعات - بصفة أو صفتين من صفات الله العشرة التي جاءت بها السورة وهي: (سميع ، بصير ، عفو ، غفور ، خبير ، شهيد ، عليم ، رحيم ، قوي ، عزيز) وكلها صفات علّقت بها آيات السورة لتربي في نفوس المؤمنين أن الله عفو غفور لما بدر منهم من ظهار أو نجوى بالإثم وأنه رحيم بهم في تخفيفه حكم الظهار من الطلاق إلى الكفارة ، وتخفيف حكم مناجاة الرسول صلى الله عليه وسلم من تقديم الصدقات إلى أداء الصلاة والامتنال لحكم رسول الله ، وأنه عليهم شهيد خبير بكل قول أو فعل مخالف لأمره وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأنه سميع بصير بأحوالهم وحاجاتهم ، في الوقت الذي فيه قوي عزيز مع أعدائهم.

أما ظواهر الدلالة التي جاءت بها سورة المجادلة لتقييم نوعاً من الحبك الدلالي والتماسك المعنوي بين موضوعات السورة المتعددة - متمثل في ظاهرة التناظر أو التقابل أو التكرار أو الحذف والذكر أو الفصل والوصل بين معاني السورة وموضوعاتها، فضلاً عن المناسبة بين صدر السورة وخاتمتها ، وكلها ظواهر تؤكد : الوحدة الموضوعية لمضمون السورة ، والوحدة البنائية لنصها اللغوي ، فتجمع ما يبدو من اختلاف أو تفاوت بين موضوعات السورة وأحداثها وقضاياها تحت فكرة جامعة ومعنى عام ، به يتضح مقصد السورة ومغزاها ، ويدونه تبدو السورة مجموعة من الآيات متفاوتة الأفكار والاتجاهات غير متوالية في عرض الموضوعات.

فتعدد الموضوعات والفئات التي تحدثت عنها سورة المجادلة ، وأشرنا إليها في الإجراء الثاني من التفسير النصي لها ، يمكن إدراك الرابط المضموني الذي يجمعها أو المقصد العام الذي ينتظمها - من خلال تحليل (**ظاهرة التقابل الدلالي**) بين تصوير الآيات رعاية الله بالمؤمنين في بداية السورة صورة تملأ القلب بوجود الله وقربه وعطفه ، وبين تصويرها مراقبة الله وسمعه وإبصاره أقوال المنافقين والكافرين وأعمالهم صورة تملأ القلب بالحدز والخوف والرعب من عقاب الله في الدنيا وعذابه في الآخرة . ولعل في مقابلة السورة بين المعنيين : (معنى سمع الله وبصره بالمؤمنين رعايةً، وسمعه وبصره بالمنافقين والكافرين رسداً ومراقبةً) - إيضاحاً للمعنى وتجسيداً له وتأكيداً عليه.

ومن ثم فإن كل ما يقع في سورة المجادلة من تناظر آياتها وعدم تواليها في عرض الموضوعات على نحو ما أوضحنا في الإجراء الثاني من التفسير النصي للسورة، حيث التفات الآيات من حديثها عن المؤمنين إلى حديثها عن الكافرين ثم عودتها إلى المؤمنين ثم حديثها عن المنافقين ثم حديثها عن الكافرين ثم ختمت بعودة الحديث عن المؤمنين فالسبب فيه يؤول إلى أن القرآن الكريم يؤثر دائماً أسلوب التقابل في رسم الصورة ونقيضها ، أو إيضاح الفكرة : من جميع أطرافها وفي جميع حالاتها ، لتبدو الصورة الدلالية التي تصورها الآيات متكاملة الحثيات واضحة القسمات ، وهذا التقابل بين الصور والتناظر أو التوازي بين المعاني من أهم ظواهر الدلالة والنظم القرآني.

ومن ظواهر الحبكة الدلالية في سورة المجادلة (مناسبة خاتمة السورة لفتحها) ، فإذا بدأت السورة بآية المجادلة التي تفيد بأن الله قد سمع لها وأبصر حالها ، وهو كذلك مع جميع المؤمنين ، إنه سميع لهم بصير بأحوالهم - فإنها ختمت بآية الولاية المتبادلة بين المؤمنين وربهم ، فهو غايتهم التي تجردوا لها دون منازع من النفس والأهل والمال ، وهم أهل رضوانه وحزبه المفلحون ، وليس من شك أن بين الآيتين اطراداً في المعنى ؛ فإن رعاية الله للمؤمنين تقتضي منهم انقطاعهم وتجردهم له دون من سواه ، وتجردهم له يقتضي - برحمة الله - أن يرضى عنهم وينسبهم إليه ويجعلهم حزبه المفلحين.

وتأتي **ظاهرة التكرار التجديدي** من أهم ظواهر الحبكة الدلالية في سورة المجادلة، وأحب أن ألفت الانتباه هنا إلى ما اصطلحت عليه من مصطلح (التكرار التجديدي) ، حيث أفرق بينه وبين (التكرار التقريري أو التأكيدي) ، فالأول تكرار العبارة بلفظ جديد وبفائدة جديدة ، والثاني تكرار العبارة نفسها لتقرير المعنى وتأكيديه . ولعل النظم القرآني اعتمد كثيراً على النوع الأول على نحو ما نجده في سورة المجادلة ، حيث جاءت فاصلة الآية الثالثة ، وفاصلة الآية الحادية عشر بقوله تعالى : (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ). في حين جاءت فاصلة الآية الثالثة عشر بقوله (وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ). وذلك لأن السياق في الآيتين الأوليين سياق تحذير وإنذار لبعض المؤمنين في تهاونهم في تطبيق حدود الله أو ضجرهم من حكم الله ورسوله ، فجاءت الآيتان بتقديم معمول الخبر (بما تعملون) على الخبر (خبير) تقديمًا يفيد الاهتمام والتركيز على أعمالهم ، التي غفلوا فيها عن مراقبة الله لهم ، ليلفت نظرهم إلى

ذلك . أما الآية الأخيرة فسياقها سياق توبة ورحمة من الله ، تخفيفاً منه على عباده المؤمنين في أمر نجواهم للرسول صلى الله عليه وسلم ، فلما كان المؤمنون على عاداتهم وأصل فطرتهم ممتثلين لحكم الله ورسوله كما هو لم يقدموا أو يؤخروا شيئاً على شيء - جاء الكلام على عادته وأصله في الترتيب ، لم يتقدم أو يتأخر شيء على شيء .

ومن هذا التكرار التجديدي كذلك في سورة المجادلة قوله تعالى (وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ) . فاصلة الآية الرابعة ، وقوله تعالى (وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ) ، فاصلة الآية الخامسة، ففي هذا التكرار تعديد لأنواع العذاب للكافرين ، فمرة يكون أليماً وشاقاً منافياً للراحة والدعة التي قد يركن إليها بعض المسلمين عندما يتهاونون في طاعتهم لله وتطبيق حدوده، فيكونون بذلك قد كفروا نعم الله وإن آمنوا بوجوده كما في الآية الأولى ، ومرة أخرى يجيء وصف عذاب الكافرين بأنه مهين كما في الآية الثانية ، حيث سياق العناد والمكابرة التي يجيء بها الكافرون بوجود الله المحادّون لله ورسوله، فأنسب عذاب لهؤلاء المكابرين أن يكون مهيناً لكبريائهم ، على نحو ما أعد الله لهم ، وجاء وصفه في القرآن الكريم .

والحق أن الظواهر الأسلوبية في اللفظ والدلالة في سورة المجادلة كثيرة ، وأني لم أقصد في هذا المبحث حصرها ، بقدر ما أني معنيُّ ببيان مدى أهمية تحليل هذه الظواهر في الكشف عن معاني تفسيرية وإشارات ولطائف ومواعظ قرآنية ، فضلاً عما تكشفه لنا من استنباط المقاصد الكلية لسور القرآن وإدراك الروابط المعنوية التي تفسر لنا ما نجده في معظم سور القرآن من تعدد للموضوعات واختلاف جهات الخطاب وتناظر الآيات وتقابلها وعدم ترتيبها في عرض الموضوعات ... وغير ذلك مما لم نجد له تفسيراً ، إذا اقتصرنا على التفسير الجزئي المباشر للآيات .

د- تحليل الألفاظ والتراكيب وإدراك الأحكام الفقهية والمعاني الجزئية

وهذا هو الإجراء الرابع من إجراءات التفسير النصي للقرآن ، غير أن الدراسة لم تتعرض لتحليل سورة المجادلة وتفسيرها بهذا الإجراء ، على اعتبار أنه موجود بمعظم إن لم يكن كل كتب التفسير التي فسرت القرآن تفسيراً جزئياً آية آية للوقوف على معانيها المباشرة وأحكامها الظاهرة .

نتائج الدراسة

جاءت هذه الدراسة محاولة من الباحث للخروج باللسانيات النصية من الافتراضات النظرية إلى الدراسة العملية التطبيقية ، فطبقت نتائج الدرس النصي في تفسيرها القرآن الكريم ، مع الإفادة في نفس الوقت مما قرره ومارسه المفسرون القدامى من أسس ومناهج في التفسير - فكان الطرح في النهاية أن قدمت الدراسة منهجاً وتفسيراً جديداً للقرآن الكريم من خلال تفسيرها سورة المجادلة.

وأثناء خوض الدراسة غمار البحث توصلت إلى عدة نتائج بعضها تقريبي وبعضها استكشافي ، ويمكن أن نذكر بعضاً من هذه النتائج على النحو الآتي :

١- بينت الدراسة أهمية الأخذ بالمفهوم الأشمل والأحدث للنص والمعاني النصية ، عند قراءة أي نص أو تحليله أو شرحه أو تفسيره ، فمثلاً يعد تفسير القرآن الكريم بتحليل لغته بعيداً عن سياق الآيات وأسباب نزولها ، أو مقاصد الشارع منها ، أو مَنْ المخاطبُ فيها؛ خروجاً بالآيات عن معانيها ، وتحريفاً لها عن مقاصدها ، على نحو ما ساقته الدراسة أمثلة على ذلك من تفاسير الشيعة والمعتزلة والخوارج.

٣- كشفت الدراسة في نقدها مناهج المفسرين على ضوء علم اللغة النصي أن ثمة معاني تفسيرية ومواعظ قرآنية ولطائف بلاغية ومقاصد كلية ، لم يولها المفسرون حقها من البيان ؛ الأمر الذي يدل على أن باب التفسير لم يغلُق بعد ، وأن إمكانية استنباط معاني جديدة في القرآن الكريم لن تنتهي مهما تعددت كتب التفسير ومناهجه.

٤- نبهت الدراسة إلى أهمية التفسير النصي للقرآن الكريم في تفسير ما يبدو على ظاهر سور القرآن الكريم من استطرادات تتمثل في: تحدثها عن عديد من القضايا والموضوعات ، وبخصوص العديد من الجماعات ، وعدم توالي الآيات في عرض الموضوعات ؛ وذلك بإدراك الرابط الدلالي لتلك الموضوعات وهدف كل سورة ومغزاها من تلك الاستطرادات.

٥- كشفت الدراسة أن معظم كتب التفسير ومناهجه اهتمت بتفسير القرآن الكريم تفسيراً جزئياً آيةً آيةً ، للخلوص إلى ما فيها من أحكام فقهية وآداب شرعية وأوامر ونواه ، أو للاستدلال بها على مذهب أو رأي في قضية ؛ ولم تهتم بتفسير الآية في ضوء علاقات

التجاور والتناظر والتقابل ، التي تربطها آيات سورتها ؛ لتشكل معها بنية لفظية كبرى ووحدة دلالية عامة ومقاصد كلية شاملة ، لا يمكن إدراكها إلا بتفسير الآية في ضوء هذه العلاقات.

٦- قدمت الدراسة منهجاً جديداً وإجراءات تفسيرية محددة لتفسير القرآن الكريم نصياً ، يجمع بين خلاصة مناهج التفسير القديمة ونتائج اللسانيات النصية الحديثة . واصطلحت عليه بمصطلح : منهج التفسير النصي للقرآن الكريم.

٧- طرحت الدراسة أنموذجاً تطبيقياً للتفسير النصي للقرآن الكريم من خلال تفسير سورة المجادلة ، كشفت به كثيراً من المعاني النصية والبلاغية الأسلوبية في سورة المجادلة لم تشر إليها كتب التفسير المختلفة.

مراجع الدراسة

أولاً : القرآن الكريم

ثانياً : المراجع العربية :

- ١- الألوسي ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، دار إحياء التراث العربي ، لبنان ، بيروت ، د.ت.
- ٢- براون ويول ، تحليل الخطاب ، ترجمة الدكتور / محمد لطفي الزليطني والدكتور منير التريكي ، مطابع جامعة الملك سعود ، ١٩٩٧م.
- ٣- ابن جرير الطبري ، جامع البيان في تفسير القرآن ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ١٣٢٣هـ.
- ٤- أبو بكر الجزائري ، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، السعودية ، ٢٠٠٣م.
- ٥- جولد زيهر ، المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن ، تعريب علي حسن عبد القادر ، مكتبة العلوم ، القاهرة ، ١٩٤٤م.
- ٦- أبو حيان ، البحر المحيط ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط٢.
- ٧- دكتور خالد بن عثمان السبت ، قواعد التفسير جمعاً ودراسة ، دار ابن عفان ، السعودية ، ط١.
- ٨- الدامغاني ، إصلاح الوجوه والنظائر ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط١.
- ٩- الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٠م.
- ١٠- دكتور رمزي نعناع ، بدع التفاسير في الماضي والحاضر ، مؤسسة أنوار الرياض ، السعودية ، ١٩٧١م.
- ١١- روبرت دي بوجراند ، النص والخطاب والإجراء ، ترجمة الدكتور تمام حسان ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٩٨م.

- ١٢- الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، تحقيق : محمد أبي الفضل إبراهيم ، دار التراث ، القاهرة ، ١٩٨٠م .
- ١٣- الزمخشري ، الكشاف ، تحقيق محمد الصادق قماوي ، مطبعة البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٩٧٢م .
- ١٤- الشيخ سيد قطب ، في ظلال القرآن ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٧٨م .
- ١٥- السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، مطبعة مصطفى الحلبي ، القاهرة ، ١٩٣٥م .
- ١٦- السيوطي ، تناسق الدرر في تناسب السور ، تحقيق : عبد الله محمد الدروش ، مكتبة عالم الكتب ، بيروت ، لبنان ، ط ٢ ، ١٩٨٧م .
- ١٧- السيوطي ، الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، تحقيق : عبد الله عبد المحسن التركي ، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية ، القاهرة ، ٢٠٠٣م .
- ١٨- دكتور صبحي إبراهيم الفقي ، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ، دار قباء للطباعة ، القاهرة ، ٢٠٠٠م .
- ١٩- دكتور صلاح فضل ، بلاغة الخطاب وعلم النص ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، عدد (١٦٤) ، أغسطس ١٩٩٢م .
- ٢٠- عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في كلام المنان ، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ٢٠٠٥م .
- ٢١- دكتور عبد الستار سعيد ، المدخل إلى التفسير الموضوعي ، دار الطباعة والنشر الإسلامية ، القاهرة ، ط ١ .
- ٢٢- عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، تحقيق محمد رشيد رضا ، دار المعارف ، بيروت ، ١٩٨٢م .
- ٢٣- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، تعليق محمود محمد شاكر ، الخانجي ، القاهرة ، ١٩٨٩م .
- ٢٤- فولفجانج هاينه وديتر فيهفيجر ، مدخل إلى علم اللغة النصي ، ترجمة : الدكتور فالح بن شبيب العجمي ، مطابع جامعة الملك سعود ، السعودية ١٩٩٩م .

- ٢٥- ابن قيم الجوزية ، بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن القيم ، جمعه ووثق نصوصه يسري السيد محمد ، دار ابن الجوزي ، السعودية ، ١٩٩٢م .
- ٢٦- ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، نقحه وراجعته الشيخ خالد محمد محرم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٩٦م .
- ٢٧- دكتور محروس محمد إبراهيم ، تداوليات الخطاب وضوابط الرواية والتلقي ، مجلة علوم اللغة ، مكتبة غريب ، القاهرة، مج ١٠، ع ٣٧، يناير ٢٠٠٧م .
- ٢٨- دكتور محمد حسين الذهبي ، التفسير والمفسرون ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، ١٩٧٦م .
- ٢٩- دكتور مصطفى مُسلم ، مباحث في التفسير الموضوعي ، دار القلم ، دمشق ، ١٩٨٩م .
- ٣٠- مناع القطان ، مباحث في علوم القرآن ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٩٨م .
- ٣١- ابن منظور ، لسان العرب ، طبعة دار المعارف ، القاهرة ، د.ت .
- ٣٢- ناصر الدين المالكي ، الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال ، بهامش كتاب الكشاف للزمخشري ، تحقيق محمد الصادق قمحاوي ، مطبعة البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٩٧٢م .
- ٣٣- النيسابوري ، أسباب النزول ، تحقيق : أيمن صالح شعبان ، دار الحديث ، القاهرة ، د.ت .

ثالثاً : المراجع الأجنبية :

- 1- Halliday,M.A..K,and Ruqaya Hasan,(1976).Cohesion in English, Longman ,London .
- 2- Jack,Richards, Platt John and Weber Heidi ,(1987), Longman Dictionary of Applied Linguistics ,Longman ,London .